صور الحساب في القرآن والسنة

د . فهد صالح الخنه (*)

المقدمة :

الحمد لله رب العالمين وسع كل شيء علمًا الذي وضع الموازين بالقسط وأحصى كل شيء عددًا والصلاة والسلام على البشير النذير نبينا محمد المبعوث رحمة للعالمين وعلى آله وصحبه أجمعين. **أما بعد،،،**

فكلما قرأت القرآن الكريم وتدبرته تظهر لي عظمته وإعجازه، ومما أكده المولى عز وجل في كتابه الكريم قدرته جل وعلا على إحصاء الحركات والسكنات لخلقه وعلمه بما يفعلون في سرهم وجهرهم، واطِّلاعه على ما يقولون بألسنتهم وما يُكنُّون في صدورهم، وإحصائه كل ذلك على عباده في صور شتى، وكذلك بيان صور ومشاهد حسابهم يوم القيامة. ومن ذلك قوله تعالى: {وَوُضِعَ الْكِتَابُ فَتَرَى الْمُجْرِمِينَ مُشْفِقِينَ مِمَّا فِيهِ وَيَقُولُونَ يَاوَيْلَتَنَا مَالِ هَذَا الْكِتَابِ لَا يُغَادِرُ صَغِيرَةً وَلَا كَبِيرَةً إِلَّا أَحْصَاهَا وَوَجَدُوا مَا عَمِلُوا حَاضِرًا وَلَا يَظْلِمُ رَبُّكَ أَحَدًا}(١).

ففي هذه الآية يقول الحق عن أحوال المحاسبين يوم القيامة مالِ هذا الكتاب لا يغادر صغيرة ولا كبيرة إلا أحصاها، فالكتاب أحصى كل شيء وبعد ذلك يقول الحق عز وجل: {وَوَجَدُوا مَا عَمِلُوا حَاضِرًا} أي: كأنما يرون ما عملوا حاضرًا أمامهم رأي العين".

(*) مدرس بكلية الشريعة – جامعة الكويت.

(١) الكهف: ٤٩.

وفي آية أخرى يقول الحق: {هَذَا كِتَابُنَا يَنْطِقُ عَلَيْكُمْ بِالْحَقِّ إِنَّا كُنَّا نَسْتَنْسِخُ مَا كُنْتُمْ تَعْمَلُونَ}[1] {يَنْطِقُ عَلَيْكُمْ بِالْحَقِّ}، وفي آية ثالثة يقول عز وجل {يَوْمَ يَنْظُرُ الْمَرْءُ مَا قَدَّمَتْ يَدَاهُ}[2]، أي: ينظر بعينه ما قدمت يداه وفي ذلك بيان أن الإنسان سينظر بعينه ما قدمت يداه ماثلًا أمامه – والله أعلم – صوتًا وصورة وكتابة، وكما يختم الله على أفواه بني آدم المحاسبين وتتكلم أيديهم وتشهد أرجلهم بأفعالهم {الْيَوْمَ نَخْتِمُ عَلَى أَفْوَاهِهِمْ وَتُكَلِّمُنَا أَيْدِيهِمْ وَتَشْهَدُ أَرْجُلُهُمْ بِمَا كَانُوا يَكْسِبُونَ}[3]، ويقول في نفس المعنى سبحانه وتعالى: {يَوْمَ تَشْهَدُ عَلَيْهِمْ أَلْسِنَتُهُمْ وَأَيْدِيهِمْ وَأَرْجُلُهُمْ بِمَا كَانُوا يَعْمَلُونَ}[4]، ويقول عز وجل: {حَتَّى إِذَا مَا جَاءُوهَا شَهِدَ عَلَيْهِمْ سَمْعُهُمْ وَأَبْصَارُهُمْ وَجُلُودُهُمْ بِمَا كَانُوا يَعْمَلُونَ (٢٠) وَقَالُوا لِجُلُودِهِمْ لِمَ شَهِدْتُمْ عَلَيْنَا قَالُوا أَنْطَقَنَا اللَّهُ الَّذِي أَنْطَقَ كُلَّ شَيْءٍ وَهُوَ خَلَقَكُمْ أَوَّلَ مَرَّةٍ وَإِلَيْهِ تُرْجَعُونَ (٢١) وَمَا كُنْتُمْ تَسْتَتِرُونَ أَنْ يَشْهَدَ عَلَيْكُمْ سَمْعُكُمْ وَلَا أَبْصَارُكُمْ وَلَا جُلُودُكُمْ وَلَكِنْ ظَنَنْتُمْ أَنَّ اللَّهَ لَا يَعْلَمُ كَثِيرًا مِمَّا تَعْمَلُونَ (٢٢) وَذَلِكُمْ ظَنُّكُمُ الَّذِي ظَنَنْتُمْ بِرَبِّكُمْ أَرْدَاكُمْ فَأَصْبَحْتُمْ مِنَ الْخَاسِرِينَ (٢٣) فَإِنْ يَصْبِرُوا فَالنَّارُ مَثْوًى لَهُمْ وَإِنْ يَسْتَعْتِبُوا فَمَا هُمْ مِنَ الْمُعْتَبِينَ}[5].

ففي هذه الآيات يبين عز وجل صور الحساب كلها تقيم الحجة على الخلق {وَمَا رَبُّكَ بِظَلَّامٍ لِلْعَبِيدِ}[6]، فمن شهادة الملائكة، إلى الكتاب الذي أحصى كل شيء على الإنسان، إلى شهادة الجوارح على العبد في فعله، إلى نظر الإنسان إلى فعله بعينه، إلى نطق الكتاب على الإنسان بما فَعَله.

---

(١) الجاثية: ٢٩.

(٢) النبأ: ٤٠.

(٣) يس: ٦٥.

(٤) النور: ٢٤.

(٥) فصلت: ٢٠ – ٢٤.

(٦) فصلت: ٤٦.

وورد في صحيح مسلم وابن حيان عن أنس بن مالك: "كنا عند رسول الله صلى الله عليه وسلم فضحك فقال: (هل تدرون مما أضحك)؟ قلنا: الله ورسوله أعلم قال: من مخاطبة العبد ربه يقول: يا رب ألم تجرني من الظلم؟ قال: يقول: بلى، قال: فيقول: فإني لا أجيز على نفسي إلا شاهدا مني، قال: فيقول: كفى بنفسك اليوم عليك شهيدا، وبالكرام الكاتبين شهودا، قال: فيختم على فيه، فيقال لأركانه: انطقي، قال: فتنطق بأعماله، قال: ثم يخلى بينه وبين الكلام، قال فيقول: بعدا لكن وسحقا، فعنكن كنت أناضل"[١].

ففي هذا الحديث بيان لما ورد في القرآن الكريم من صور حساب الناس يوم القيامة، بشهادة الجوارح على الإنسان بما قامت به من ذنوب ومعاصٍ، وتفصيل ذلك سيأتي في هذا البحث بفضل الله.

وقد أوردنا كلام المفسرين على الروايات، وفي هذا البحث ذكرنا صور الحساب على الخلق يوم القيامة ومشاهد السؤال، وفي ذلك عبرة ليعلم كل مسلم أن حركاته وسكناته وأقواله ونياته وجهره وسره مكشوف أمام ربه، فيتقي الله في سره وعلانيته ويراقب الله في الغيب والشهادة ويسعى لمرضاة ربه جل وعلا، وإلى التعرض إلى رحمته طلبًا لرضاه والجنة وتجنبًا لسخطه والنار.

ومما ينبغي الانتباه إليه أنه إذا كان الإنسان قد استطاع أن يكتشف من وسائل الرقابة والرصد والتسجيل المرئي والمسموع والتوثيق، ما نشاهده الآن صوتًا وصورة وبصمة صوتية وبصمة العين وغيرها من وسائل جديدة تكتشف وتراقب وتسجل كل شاردة وواردة في مجالها، ولله المثل الأعلى، فكيف بالله القوي القادر لا شك أن ذلك يؤكد لنا أن الحساب يوم القيامة سيكون أدق وأوثق، فعلى المسلم أن يتقي الله في نفسه ويحرص ألا يراه الله في موضع لا يرضاه، أو في وضع لا يحبه، أو أن يرى في صحيفته يوم العرض ما يندم عليه ولات حين مندم.

---

(١) أخرجه مسلم، كتاب الزهد والرقائق (٤/ ٢٢٨٠) ح (٢٩٦٩).

نسأل الله أن يعيننا على ذكره وشكره وحسن عبادته، ويرزقنا خشيته في السر والعلن، ويقينا الفتن ما ظهره منها وما بطن، ويوفقنا لمراقبته في الغيب والشهادة ويدخلنا الفردوس الأعلى ووالدينا وذريتنا وأرحامنا والمسلمين أجمعين من غير حساب ولا عذاب، إنه عفو كريم.

خطة الدراسة:

مقدمة:

المبحث الأول: الحساب وصوره في القرآن الكريم.

المطلب الأول: مفهوم الحساب في القرآن الكريم.

المطلب الثاني: أوصاف الحساب في القرآن الكريم.

المبحث الثاني: العرض.

المطلب الأول: معنى العرض في اللغة.

المطلب الثاني: دلالات العرض في القرآن الكريم.

المبحث الثالث: مفهوم السؤال يوم القيامة.

المبحث الرابع: الإحصاء والكتابة.

المطلب الأول: الإحصاء.

المطلب الثاني: الكتابة.

المبحث الخامس: الوزن والميزان.

المطلب الأول: الوزن والميزان في اللغة.

المطلب الثاني: الوزن والميزان في القرآن والسنة.

المبحث السادس: إشهاد الجوارح.

المبحث السابع: أهل اليمين وأهل الشمال.

المبحث الثامن: النظر إلى الأعمال ونطق الكتاب.

المبحث التاسع: صور من الحساب الخاص.

خاتمة

المصادر والمراجع

المبحث الأول

الحساب وصوره في القرآن الكريم

المطلب الأول: مفهوم الحساب في القرآن الكريم:

تدور معاني الحساب في القرآن الكريم على عملية المساءلة التي تحصل للعبد في الآخرة ويجازى بحسبها فتعرض للعبد يوم القيامة حسناته وسيئاته ثم يجازى بحسب ما ينتهي إليه الميزان.

يقال: (حاسبه محاسبة وحسابا: أحصى عليه أعماله للجزاء عليها فحاسبناها: (وَكَأَيِّنْ مِنْ قَرْيَةٍ عَتَتْ عَنْ أَمْرِ رَبِّهَا وَرُسُلِهِ فَحَاسَبْنَاهَا حِسَاباً شَدِيداً)) [١].

والحساب: عد أفراد الشيء ذي الأفراد ويطلق على إعمال النظر في تمييز بعض الأحوال عن بعض إذا اشتبهت... ومنه جاء معنى الحسبة- بكسر الحاء، وهي النظر في تمييز أحوال أهل السوق من استقامة وضدها. ويقال: حاسب فلانا على أعماله إذا استقراها وتتبعها. قال النابغة:

.... يحاسب نفسه بكم اشتراها

فالحساب هنا مصدر حاسب، والمراد به تتبع الأعمال والأحوال والنظر فيما تقابل به من جزاء[٢].

قال الراغب: (وإنما هو في الحقيقة ما يُحاسب عليه فيُجازى بحسبه ... قال تعالى: {فَحَاسَبْنَاهَا حِسَابًا شَدِيدًا}[٣]، إشارة إلى نحو ما روي: «من نوقش الحساب عذب» ، وقال تعالى: {اقْتَرَبَ لِلنَّاسِ حِسَابُهُمْ}[٤])[٥].

---

(١) معجم وتفسير لغوى لكلمات القرآن (١/ ٣٩٢)
(٢) التحرير والتنوير (٧/ ٢٤٨).
(٣) سورة الطلاق، الآية: ٨.
(٤) سورة الأنبياء، الآية: ١.
(٥) المفردات في غريب القرآن (ص: ٢٣٢).

وقال القرطبي: (معنى الحساب: تعريف الله عباده مقادير الجزاء على أعمالهم، وتذكيره إياهم بما قد نسوه، بدليل قوله تعالى: يوم يبعثهم الله جميعا فينبئهم بما عملوا أحصاه الله ونسوه)(1).

وقال البقاعي: (والحساب: إحصاء الشيء والمجازاة عليه بخير أو شر)(2).

وسمي يوم القيامة يوم الحساب(3)؛ لأنه يوم المحاسبة والمناقشة والسؤال.

قال الزمخشري في تفسير قوله تعالى: {لَهُمْ عَذَابٌ شَدِيدٌ بِمَا نَسُوا يَوْمَ الْحِسَابِ} [ص: ٢٦]: (بنسيانهم يوم الحساب، أو بقوله لهم، أى: لهم عذاب يوم القيامة بسبب نسيانهم وهو ضلالهم عن سبيل الله)(4).

ومعنى قوله تعالى على لسان إبراهيم عليه السلام {رَبَّنَا اغْفِرْ لِي وَلِوَالِدَيَّ وَلِلْمُؤْمِنِينَ يَوْمَ يَقُومُ الْحِسَابُ} [إبراهيم: ٤١]: يوم يثبت حساب المكلفين في المحشر، استعير له لفظ يقوم الذي هو حقيقة في قيام الرجل للدلالة على أنه في غاية الاستقامة(5)، أو معناه: يوم يقوم الناس للحساب، فاكتفى بذكر الحساب من ذكر الناس، إذ كان مفهوما معناه(6).

قال الرازي: (وفي قوله: يوم يقوم الحساب قولان: الأول: يقوم أي يثبت وهو مستعار من قيام القائم على الرجل، والدليل عليه قولهم: قامت الحرب على ساقها، ونظيره قوله ترجلت الشمس، أي أشرقت وثبت ضوءها كأنها قامت على رجل. الثاني: أن يسند إلى الحساب قيام أهله على سبيل المجاز مثل قوله: وسئل القرية [يوسف: ٨٢] أي أهلها. والله أعلم)(7).

(١) **تفسير القرطبي (٢/ ٤٣٥).**
(٢) **نظم الدرر في تناسب الآيات والسور (١٢/ ٣٧٩).**
(٣) **السابق، الصفحة نفسها**
(٤) تفسير الزمخشري = الكشاف عن حقائق غوامض التنزيل (٤/ ٨٩).
(٥) فتح البيان في مقاصد القرآن (٧/ ١٢٩).
(٦) تفسير الطبري = جامع البيان ت شاكر (١٧/ ٢٨).
(٧) تفسير الرازي (١٩/ ١٠٧).

وقال ابن عطية في قوله تعالى: {إِنَّ اللَّهَ سَرِيعُ الْحِسَابِ} [آل عمران: ١٩٩] (قيل معناه: سريع إتيان بيوم القيامة، وهو يوم الحساب، فالحساب إذا سريع إذ كل آت قريب، وقال قوم: سَرِيعُ الْحِسابِ أي إحصاء أعمال العباد وأجورهم وآثامهم، إذ ذلك كله في عمله لا يحتاج فيه إلى عد وروية ونظر كما يحتاج البشر)[١].

المطلب الثاني: أوصاف الحساب في القرآن الكريم.

وردت لفظة الحساب في القرآن الكريم مقرونة بوصفين، أحدهما ينبئ عن سوء مصير صاحبه إذ هو الحساب السيِّئ الذي يناقش صاحبه الحساب، والثاني ينبئ عن فضل الله تعالى على من يحاسبه إذ يتجاوز عن سيئاته وفيما يلي تفصيل ذلك:

الوصف الأول: الحساب السيِّئ أو الشديد

وقد ورد هذا الوصف للحساب في ثلاث آيات.

الآية الأولى: قوله تعالى: {لِلَّذِينَ اسْتَجَابُوا لِرَبِّهِمُ الْحُسْنَى وَالَّذِينَ لَمْ يَسْتَجِيبُوا لَهُ لَوْ أَنَّ لَهُمْ مَا فِي الْأَرْضِ جَمِيعًا وَمِثْلَهُ مَعَهُ لَافْتَدَوْا بِهِ أُولَئِكَ لَهُمْ سُوءُ الْحِسَابِ وَمَأْوَاهُمْ جَهَنَّمُ وَبِئْسَ الْمِهَادُ }[٢].

وفي هذه الآية يتحدث المولى تبارك وتعالى عن الذين لم يستجيبوا لدعوة محمد ﷺ إلى ما وهم الكفار الذين استمروا على كفرهم وشركهم وما كانوا عليه، ويصف حالتهم في الآخرة وأنه لو كان عندهم ضعف ما في الأرض من أموال لافتدوا بمجموعه؛ ليخلصوا به مما هم فيه من العذاب الكبير والهول العظيم، ثم بين سبحانه ما أعد لهم بأن (لهم سوء الحساب) وهو الحساب السيِّئ، وهو أن يحاسب الرجل بذنبه كله ولا يغفر له منه شيء[٣].

---

(١) تفسير ابن عطية (١/ ٥٥٩).

(٢) سورة الرعد، الآية: ١٨.

(٣) فتح البيان في مقاصد القرآن (٧/ ٤٤).

قال القرطبي: (أي لا يقبل لهم حسنةٌ، ولا يُتجاوز لهم عن سيئة) [١].

وقال ابن كثير: (يناقشون على النقير والقطمير، والجليل والحقير، ومن نوقش الحساب عذب)[٢].

الآية الثانية: {وَالَّذِينَ يَصِلُونَ مَا أَمَرَ اللَّهُ بِهِ أَنْ يُوصَلَ وَيَخْشَوْنَ رَبَّهُمْ وَيَخَافُونَ سُوءَ الْحِسَابِ}[٣].

قال الطبري: ((ويخافون سوء الحساب)، يقول: ويحذرون مناقشة الله إياهم في الحساب، ثم لا يصفح لهم عن ذنب، فهم لرهبتهم ذلك جادون في طاعته، محافظون على حدوده. ثم ذكر بسنده عن أبي الجوزاء في قوله: (الذين يخشون ربهم ويخافون سوء الحساب) قال: المقايسة بالأعمال)[٤].

وساق بسنده إلى فرقد السبخي قال: قال: لي إبراهيم: تدري ما (سوء الحساب) ؟ قلت: لا أدري قال: يحاسب العبد بذنبه كله لا يغفر له منه شيء[٥].

الآية الثالثة: قوله تعالى: {وَكَأَيِّنْ مِنْ قَرْيَةٍ عَتَتْ عَنْ أَمْرِ رَبِّهَا وَرُسُلِهِ فَحَاسَبْنَاهَا حِسَابًا شَدِيدًا وَعَذَّبْنَاهَا عَذَابًا نُكْرًا}[٦].

ذكر المولى تبارك وتعالى عتو قوم خالفوا أوامره، فحل بهم عذابه، فقال: كم من أهل قرية عصوا أمر الله ورسله، أو أعرضوا عن أمر الله ورسله[٧].

فحاسبناها حسابا شديدا. قال الطبري: (أي: فحاسبنا هذه القرية حسابا استقصينا فيه عليهم، لم نعف لهم فيه عن شيء، ولم نتجاوز فيه عنهم)[٨].

---

(١) تفسير القرطبي (٩/ ٣٠٧).
(٢) تفسير ابن كثير (٤/ ٤٤٩).
(٣) سورة الرعد، الآية: ٢١.
(٤) تفسير الطبري (١٦/ ٤٢٠).
(٥) السابق (١٦/ ٤٢١).
(٦) سورة الطلاق، الآية: ٨.
(٧) انظر: فتح القدير للشوكاني (٥/ ٢٩٤).
(٨) تفسير الطبري (٢٣/ ٤٦٥).

الوصف الثاني: الحساب اليسير.

{فَأَمَّا مَنْ أُوتِيَ كِتَابَهُ بِيَمِينِهِ (٧) فَسَوْفَ يُحَاسَبُ حِسَابًا يَسِيرًا (٨) وَيَنْقَلِبُ إِلَى أَهْلِهِ مَسْرُورًا (٩) وَأَمَّا مَنْ أُوتِيَ كِتَابَهُ وَرَاءَ ظَهْرِهِ (١٠) فَسَوْفَ يَدْعُو ثُبُورًا (١١) وَيَصْلَى سَعِيرًا } [الانشقاق: ٧ : ١٢]

تتحدث هذه الآيات عن بعض السعداء في الآخرة وهو من يؤتى كتابه بيمينه فتذكر أن الله سبحانه وتعالى سيحاسبه الحساب اليسير، أي الحساب السهل الهين الذي لا مناقشة فيه؛ لأنه يغفر ذنوبه ولا يحاسبه عليها، فيعرض عليه سيئاته ثم يغفرها الله له[١].

قال الطبري: (فسوف يحاسب حسابا يسيرا) بأن ينظر في أعماله، فيغفر له سيئها، ويجازى على حسنها)[٢].

ثم ذكر الآثار عن ذلك ومنها:

❖ عن عائشة، قالت: سمعت النبي صلى الله عليه وسلم يقول: "اللهم حاسبني حسابا يسيرا"، قلت: يا رسول الله ما الحساب اليسير؟ قال: "أن ينظر في سيئاته فيتجاوز عنه، إنه من نوقش الحساب يومئذ هلك"[٣].

❖ وعن ابن زيد قال: (فسوف يحاسب حسابا يسيرا) قال: الحساب اليسير: الذي يغفر ذنوبه، ويتقبل حسناته، ويسير الحساب الذي يعفى عنه، وقرأ:

---

(١) فتح البيان في مقاصد القرآن (١٥/ ١٤٦).

(٢) تفسير الطبري (٢٤/ ٣١٣).

(٣) أخرجه أحمد في مسنده (٤٠/ ٢٦٠) رقم (٢٤٢١٥)، والطبراني في الأوسط (٤/ ٧٤) ح (٣٦٤٩)، والحاكم في (١/ ١٢٥) ح(١٩٠)، وقال: (هذا حديث صحيح على شرط مسلم ولم يخرجاه بهذا اللفظ، إنما اتفقا على حديث ابن أبي مليكة، عن عائشة، أن رسول الله صلى الله عليه وسلم، قال: «من نوقش الحساب عذب»، وقال الذهبي: (على شرط مسلم).

(ويخافون سوء الحساب)، وقرأ: (أولئك الذين نتقبل عنهم أحسن ما عملوا ونتجاوز عن سيئاتهم في أصحاب الجنة) [1].

والخلاصة: أن الصورة الجامعة للحساب في القرآن الكريم هي صورة الحساب التي تشتمل على المساءلة والوزن والمجازاة، كما دلت على ذلك آيات القرآن الكريم، وأن هذا الحساب على نوعين؛ النوع الأول أعده الله تعالى للكفار ومن لم يرد أن يعفو عنه من عصاة هذه الأمة، وهو الحساب السيِّئ أو سوء الحساب، والنوع الثاني: محمود وهو الحساب اليسير الذي طلبه الرسول ﷺ في دعائه وهو أن ينظر في سيئاته فيتجاوز عنه.

* *

(١) تفسير الطبري (٢٤/ ٣١٤).

المبحث الثاني

العرض

المطلب الأول: معنى العرض في اللغة.

العرض هو إظهار الشيء وإبرازه يقال: عرضت الشيء فأعرض، أي أظهرته فظهر. وهذا كقولهم: كببته فأكب، وهو من النوادر[١]. وقوله تعالى: ﴿وعرضنا جهنم يومئذ للكافرين عرضا﴾. قال الفراء: (أبرزناها حتى نظر إليها الكفار. وأعرضت هي، أي استبانت وظهرت)[٢].

المطلب الثاني: دلالات العرض في القرآن الكريم.

العرض في القرآن الكريم في الآخرة يأتي بمعناه في اللغة والذي يدور حول الظهور والبروز، ويتنوع ويتعدد باختلاف الموقف، فهناك العرض العام لإظهار قيومية الله تعالى وكمال ملكه حينما يعرض العباد عليه سبحانه وتعالى صفا، وهناك عرض الأعمال على العباد، وهناك عرض الجنة والنار، وقد وردت ذكر العرض بأنواعه المختلفة في عدد من آيات القرآن الكريم وبيان ذلك على النحو الآتي:

قال تعالى: ﴿وَعُرِضُوا عَلَى رَبِّكَ صَفًّا لَقَدْ جِئْتُمُونَا كَمَا خَلَقْنَاكُمْ أَوَّلَ مَرَّةٍ بَلْ زَعَمْتُمْ أَلَّنْ نَجْعَلَ لَكُمْ مَوْعِدًا﴾[٣].

تبين هذه الآية أنه بعد أن يُحشر الخلائق يوم القيامة، فإنهم جميعا يعرضون على الله تعالى يوم القيامة صفا.

وقد أخرج ابن منده في التوحيد في بيان هيئة العرض عن معاذ بن جبل أن النبي ﷺ قال: ((إن الله تبارك وتعالى ينادي بصوت رفيع غير فظيع: يا عبادي أنا الله لا إله إلا أنا أرحم الراحمين وأحكم الحاكمين وأسرع الحاسبين، يا عبادي لا

(١) الصحاح (٣/ ١٠٨٤).
(٢) معاني القرآن للفراء (٢/ ١٦٠).
(٣) سورة الكهف، الآية: ٤٨

خوف عليكم اليوم ولا أنتم تحزنون، أحضروا حجتكم وشروا جوابكم فإنكم مسؤولون محاسبون، يا ملائكتي أقيموا عبادي على أطراف أنامل أقدامهم للحساب))[١].

قال الرازي: (لما ذكر الله تعالى حشر الخلق ذكر كيفية عرضهم، فقال: عرضوا على ربك صفا، و ... في تفسير الصف وجوه. أحدها: أنه تعرض الخلق كلهم على الله صفا واحدا ظاهرين بحيث لا يحجب بعضهم بعضا ... وثانيها: لا يبعد أن يكون الخلق صفوفا يقف بعضهم وراء بعض مثل الصفوف المحيطة بالكعبة التي يكون بعضها خلف بعض، وعلى هذا التقدير فالمراد من قوله:﴿صفا﴾ صفوفا ... وثالثها: صفا أي قياما)[٢].

وفي معنى هذه الآية قوله تعالى: ﴿يَوْمَئِذٍ تُعْرَضُونَ لَا تَخْفَى مِنْكُمْ خَافِيَةٌ﴾[٣].

قال التستري: (قوله تعالى: ﴿يَوْمَئِذٍ تُعْرَضُونَ لاَ تَخْفى مِنْكُمْ خافِيَةٌ﴾ قال: أي تعرضون على الحق عزَّ وجلَّ، فيحاسبكم بأعمالكم، لا يخفى عليه من أعمالكم شيء، كل ذلك معروف محصي عليكم في علمه السابق، فيسأله عن جميع ذلك)[٤].

وقال النسفي: (﴿يَوْمَئِذٍ تُعْرَضُونَ﴾ للحساب والسؤال شبه ذلك بعرض السلطان العسكر لتعرّف أحواله ﴿لاَ تخفى مِنكُمْ خَافِيَةٌ﴾ سريرة وحال كانت تخفى في الدنيا)[٥].

---

(١) عزاه القرطبي لابن منده في كتاب التوحيد، وقال: (هذا الحديث غاية في البيان في تفسير الآية، ولم يذكره كثير من المفسرين، وقد كتبناه في كتاب التذكرة، ومنه نقلناه والحمد لله. قد جئتمونا كما خلقناكم أول مرة). انظر: تفسير القرطبي (١٠/ ٤١٧).

(٢) تفسير الرازي = مفاتيح الغيب أو التفسير الكبير (٢١/ ٤٦٩).

(٣) سورة الحاقة، الآية: ١٨.

(٤) تفسير التستري (ص: ١٧٥).

(٥) تفسير النسفي = مدارك التنزيل وحقائق التأويل (٣/ ٥٣٠).

وكما يعرض العباد للحساب فإن النار تعرض على الكافرين يوم القيامة قال تعالى: ﴿وَعَرَضْنَا جَهَنَّمَ يَوْمَئِذٍ لِلْكَافِرِينَ عَرْضًا﴾[١]. فإن الله تعالى يأتي بجهنم حتى يشاهدها الكفار، وفي ذلك وعيد عظيم لهم بسبب ما يحصل معهم عند مشاهدتها من الفزع والارتياع[٢]. والمعنى يحتمل: أن يكون عرضها عليهم قبل أن يدخلوا فيها، كقوله: ﴿وَبُرِّزَتِ الْجَحِيمُ لِلْغَاوِينَ﴾[٣].

قال الطبري: (وقوله: ﴿وعرضنا جهنم يومئذ للكافرين عرضا﴾ يقول: وأبرزنا جهنم يوم ينفخ في الصور، فأظهرناها للكافرين بالله، حتى يروها ويعاينوها)[٤].

ثم روى بسنده إلى ابن مسعود قال: يقوم الخلق لله إذا نفخ في الصور، قيام رجل واحد، ثم يتمثل الله عز وجل للخلق فما يلقاه أحد من الخلائق كان يعبد من دون الله شيئا إلا وهو مرفوع له يتبعه، قال: فيلقى اليهود فيقول: من تعبدون؟ قال: فيقولون: نعبد عزيرا، قال: فيقول: هل يسركم الماء؟ فيقولون نعم، فيريهم جهنم وهي كهيئة سراب، ثم قرأ ﴿وعرضنا جهنم يومئذ للكافرين عرضا﴾ ثم يلقى النصارى فيقول: من تعبدون؟ فيقولون: نعبد المسيح، فيقول: هل يسركم الماء، فيقولون نعم، قال: فيريهم جهنم وهي كهيئة السراب، ثم كذلك لمن كان يعبد من دون الله شيئا، ثم قرأ عبد الله ﴿وقفوهم إنهم مسئولون﴾[٥].

---

(١) سورة الكهف، الآية: ١٠٠.

(٢) فتح البيان في مقاصد القرآن (٨/ ١٢٠).

(٣) انظر: تفسير الماتريدي = تأويلات أهل السنة (٧/ ٢١٠).

(٤) تفسير الطبري = جامع البيان ت شاكر (١٨/ ١٢٢).

(٥) تفسير الطبري (١٨/ ١٢٣)، وأخرجه ابن أبي شيبة في المصنف (٧/ ٥١١) ح (٣٧٦٣٧)، والحاكم في المستدرك على الصحيحين (٤/ ٥٤١) ح (٨٥١٩)، وقال: «هذا حديث صحيح على شرط الشيخين، ولم يخرجاه» ووافقه الذهبي.

وفي معنى هذه الآية قوله تعالى: ﴿وَجِيءَ يَوْمَئِذٍ بِجَهَنَّمَ يَوْمَئِذٍ يَتَذَكَّرُ الْإِنْسَانُ وَأَنَّى لَهُ الذِّكْرَى﴾(١).

قال الرازي: (قال جماعة من المفسرين: جيء بها يوم القيامة مزمومة بسبعين ألف زمام مع كل زمام سبعون ألف ملك يجرونها حتى تنصب عن يسار العرش فتشرد شردة لو تركت لأحرقت أهل الجمع) (٢).

وما ذكره الرازي يؤيد بعضه ما جاء في الحديث عن عبد الله، قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: «يؤتى بجهنم يومئذ لها سبعون ألف زمام، مع كل زمام سبعون ألف ملك يجرونها»(٣).

ويحتمل أن يكون العرض كناية عن التعذيب بها بعد ما أدخلوا فيها كقوله تعالى: ﴿وَحَاقَ بِآلِ فِرْعَوْنَ سُوءُ الْعَذَابِ (٤٥) النَّارُ يُعْرَضُونَ عَلَيْهَا غُدُوًّا وَعَشِيًّا وَيَوْمَ تَقُومُ السَّاعَةُ أَدْخِلُوا آلَ فِرْعَوْنَ أَشَدَّ الْعَذَابِ﴾(٤)، أي: تعرض أرواحهم من حين موتهم إلى قيام الساعة على النار غدواً وعشياً، أي: صباحاً ومساء(٥).

قال الطبري: (يقول تعالى ذكره مبينا عن سوء العذاب الذي حل بهؤلاء الأشقياء من قوم فرعون ذلك الذي حاق بهم من سوء عذاب الله ﴿النار يعرضون عليها﴾ إنهم لما هلكوا وغرَّقهم الله، جعلت أرواحهم في أجواف طير سود، فهي تعرض على النار كل يوم مرتين ﴿غدوا وعشيا﴾ إلى أن تقوم الساعة) وروى عن أبي الهذيل قال: أرواح آل فرعون في أجواف طير سود تغدو وتروح على النار، وذلك عرضها. وقيل: عنى بذلك: أنهم يعرضون على منازلهم في النار تعذيبا لهم غدوا وعشيا(٦).

---

(١) سورة الفجر، الآية: ٢٣.
(٢) تفسير الرازي (٣١/ ١٥٩).
(٣) أخرجه مسلم، كتاب الجنة وصفة نعيمها وأهلها باب في شدة حر نار جهنم وبعد قعرها وما تأخذ من المعذبين (٤/ ٢١٨٤).
(٤) سورة غافر، الآيتان: ٤٥، ٤٦.
(٥) فتح البيان في مقاصد القرآن (١٢/ ١٩٦).
(٦) تفسير الطبري (٢١/ ٣٩٥).

وروى عن قتادة ﴿النار يعرضون عليها غدوا وعشيا﴾ قال: يعرضون عليها صباحا ومساء، يقال لهم: يا آل فرعون هذه منازلكم، توبيخا ونقمة وصغارا لهم[١].

ثم قال: (وأولى الأقوال في ذلك بالصواب أن يقال: إن الله أخبر أن آل فرعون يعرضون على النار غدوا وعشيا. وجائز أن يكون ذلك العرض على النار على نحو ما ذكرناه عن الهذيل ومن قال مثل قوله، وأن يكون كما قال قتادة، ولا خبر يوجب الحجة بأن ذلك المعني به، فلا في ذلك إلا ما دل عليه ظاهر القرآن، وهم أنهم يعرضون على النار غدوا وعشيا، وأصل الغدو والعشي مصادر جعلت أوقاتا) [٢].

لكن الوجه الثاني يؤيده ما جاء في السنة النبوية عن عبد الله بن عمر رضي الله عنهما: أن رسول الله ﷺ قال: ((إن أحدكم إذا مات عرض عليه مقعده بالغداة والعشي، إن كان من أهل الجنة فمن أهل الجنة، وإن كان من أهل النار فمن أهل النار، فيقال: هذا مقعدك حتى يبعثك الله يوم القيامة))[٣].

قال ابن بطال: (قال القاضى ابن الطيب: اتفق المسلمون أنه لا غدو ولا عشى فى الآخرة، وإنما هو فى الدنيا، فهم معروضون بعد مماتهم على النار)[٤].

وقال الحافظ العراقي: (فيه أن الميت يعرض عليه في قبره بالغداة والعشي مقعده من الجنة إن كان من أهلها، أو مقعده من النار إن كان من أهلها، ويقال له: هذا مقعدك. وفي هذا تنعيم لمن هو من أهل الجنة وتعذيب لمن هو من أهل النار بمعاينة ما أعد له وانتظاره ذلك إلى اليوم الموعود ويوافق هذا في أحد

---

(١) السابق (٢١/ ٣٩٦).

(٢) السابق (٢١/ ٣٩٧).

(٣) أخرجه البخاري، كتاب الجنائز، باب الميت يعرض عليه مقعده بالغداة والعشي (٢/ ٩٩)، ومسلم، كتاب الجنة وصفة نعيمها وأهلها، باب عرض مقعد الميت من الجنة أو النار عليه، وإثبات عذاب القبر والتعوذ منه (٤/ ٢١٩٩) ح (٢٨٦٦).

(٤) شرح صحيح البخارى لابن بطال (٣/ ٣٦٥).

الشقين قوله تعالى: ﴿النَّارُ يُعْرَضُونَ عَلَيْهَا غُدُوًّا وَعَشِيًّا وَيَوْمَ تَقُومُ السَّاعَةُ أَدْخِلُوا آلَ فِرْعَوْنَ أَشَدَّ الْعَذَابِ﴾ [(١)]([٢]).

وعرض النار على العباد صحيح جاءت به الأدلة ﴿وَأُزْلِفَتِ الْجَنَّةُ لِلْمُتَّقِينَ (٩٠) وَبُرِّزَتِ الْجَحِيمُ لِلْغَاوِينَ﴾[٣].

فالجنة تقترب وتدنو من الصالحين بحيث يشاهدونها من الموقف، ويقفون على ما فيها من فنون المحاسن فيبتهجون بأنهم المحشورون إليها. وفي المقابل تبرز النار للكافرين في الموقف بحيث يرونها مع ما فيها من أنواع الأحوال الهائلة، فيكون غما لهم زيادة في العقاب على كفرهم[٤].

قال الرازي: (والمعنى أن الجنة قد تكون قريبة من موقف السعداء ينظرون إليها ويفرحون بأنهم المحشورون إليها، والنار تكون بارزة مكشوفة للأشقياء بمرأى منهم يتحسرون على أنهم المسوقون إليها قال الله تعالى في صفة أهل الثواب: ﴿وَأُزْلِفَتِ الْجَنَّةُ لِلْمُتَّقِينَ غَيْرَ بَعِيدٍ﴾[٥] وقال في صفة أهل العقاب: ﴿فَلَمَّا رَأَوْهُ زُلْفَةً سِيئَتْ وُجُوهُ الَّذِينَ كَفَرُوا﴾[٦]، وإنما يفعل الله تعالى ذلك ليكون سرورا معجلا للمؤمنين وغما عظيما للكافرين) [٧].

وقال القرطبي: (تظهر جهنم لأهلها قبل أن يدخلوها حتى يستشعروا الروع والحزن، كما يستشعر أهل الجنة الفرح لعلمهم أنهم يدخلون الجنة)[٨].

---

(١) سورة غافر، الآية: ٤٦.
(٢) طرح التثريب في شرح التقريب (٣/ ٣٠٤).
(٣) سورة الشعراء، الآيتان: ٩٠، ٩١.
(٤) انظر: فتح البيان في مقاصد القرآن (٩/ ٣٩٤).
(٥) سورة ق، الآية: ٣١.
(٦) سورة الملك، الآية: ٢٧.
(٧) تفسير الرازي (٢٤/ ٥١٨).
(٨) تفسير القرطبي (١٣/ ١١٦).

وفي القرآن الكريم عرض على النار في الآخرة كما في قوله تعالى: ﴿وَيَوْمَ يُعْرَضُ الَّذِينَ كَفَرُوا عَلَى النَّارِ أَذْهَبْتُمْ طَيِّبَاتِكُمْ فِي حَيَاتِكُمُ الدُّنْيَا وَاسْتَمْتَعْتُمْ بِهَا فَالْيَوْمَ تُجْزَوْنَ عَذَابَ الْهُونِ بِمَا كُنْتُمْ تَسْتَكْبِرُونَ فِي الْأَرْضِ بِغَيْرِ الْحَقِّ وَبِمَا كُنْتُمْ تَفْسُقُونَ﴾[١].

فهذه الآية تفيد أن للكفار عرضا بعد الحساب يعذبون من خلاله، وفي تفسير هذا العرض وجوه ذكرها المفسرون:

أولها: النظر إلى النار ويكون المعنى: اذكر لهم يا محمد يوم ينكشف الغطاء فينظرون إلى النار ويقربون منها[٢].

والثاني: يعرضون أي: يعذبون، وهو عرض المباشرة كما تقول عرضت العود على النار، والجاني على السوط[٣].

الثالث: قيل في الكلام قلب. والمعنى: تعرض النار عليهم[٤].

والذي أراه راجحا أن يكون معنى العرض على حقيقته فهو أبلغ في الدلالة؛ إذ عرض الشخص على النار أشد في إهانته من عرض النار عليه؛ فعرضه عليها يفيد أنه كالحطب المخلوق للاحتراق[٥]، ويؤيده قوله تعالى: ﴿إِنَّكُمْ وَمَا تَعْبُدُونَ مِنْ دُونِ اللَّهِ حَصَبُ جَهَنَّمَ أَنْتُمْ لَهَا وَارِدُونَ﴾[٦]، وقوله تعالى: ﴿وَأَمَّا الْقَاسِطُونَ فَكَانُوا لِجَهَنَّمَ حَطَبًا﴾[٧].

وفي معنى العرض السابق قوله تعالى: ﴿وَيَوْمَ يُعْرَضُ الَّذِينَ كَفَرُوا عَلَى النَّارِ أَلَيْسَ هَذَا بِالْحَقِّ قَالُوا بَلَى وَرَبِّنَا قَالَ فَذُوقُوا الْعَذَابَ بِمَا كُنْتُمْ تَكْفُرُونَ﴾[٨].

---

(١) سورة الأحقاف، الآية: ٢٠.

(٢) انظر: تفسير السمرقندي (بحر العلوم) (٣/ ٢٩٠)، وتفسير القرطبي (١٦/ ١٩٩).

(٣) انظر: تفسير الزمخشري (٤/ ٣٠٥)، وتفسير ابن عطية (٥/ ١٠٠).

(٤) انظر: تفسير الزمخشري (٤/ ٣٠٥).

(٥) فتح البيان في مقاصد القرآن (١٣/ ٢٨).

(٦) سورة: الأنبياء، الآية: ٩٨.

(٧) سورة: الجن، الآية: ١٥.

(٨) سورة الأحقاف، الآية: ٣٤.

المبحث الثالث

مفهوم السؤال يوم القيامة

تكررت لفظة السؤال ومشتقاتها في القرآن الكريم، وهي غالبا تدور حول سؤال الله تعالى لعباده عن أعمالهم في الدنيا خيرها وشرها وما علموا في الأمر والنهي على أنه في مقام الذنوب يتضمن توبيخا وتقريعا من الله تعالى تعجيزا للمذنبين وإقامة للحجة عليهم في مقام المحاسبة، ويمكن أن يأتي في بعض موادره بمعنى عموم المحاسبة التي سبق عرضها فيكون كنية عن عملية المحاسبة في الآخرة بأسرها، وفيما يلي تفصيل القول في ذلك استرشادا بأقوال المفسرين وعلماء السنة في آيات القرآن الكريم.

قال تعالى: {وَيَجْعَلُونَ لِمَا لَا يَعْلَمُونَ نَصِيبًا مِمَّا رَزَقْنَاهُمْ تَاللَّهِ لَتُسْأَلُنَّ عَمَّا كُنْتُمْ تَفْتَرُونَ} [النحل: ٥٦].

تتحدث هذه الآية الشريفة عن الكفار وكونهم يجعلون لما لا يعلمون حقيقته من الجمادات والشياطين أو من الأصنام نصيبا من أموالهم يتقربون به وذلك إشراك منهم لله الذي يعلمون أنه خلقهم، وهو الذي ينفعهم ويضرهم دون غيره(١). وقد توعدهم الله تعالى بالسؤال في الآخرة فقال: {لَتُسْأَلُنَّ عَمَّا كُنْتُمْ تَفْتَرُونَ}.

وقد ذكر المفسرون فيها وجهين: الأول: أن يكون بمعنى العقوبة على هذا الافتراء، والثانية: هي السؤال على معنى التوبيخ والتقريع.

قال الماتريدي: (يحتمل السؤال الجزاء؛ أي: تاللَّه لتجزون عما كنتم تفترون، ويحتمل السؤال سؤال حجة، يسألون على ما ادعوا على اللَّه من الأمر الحجة على ذلك، واللَّه أعلم)(٢).

---

(١) انظر: تفسير الطبري (١٧/ ٢٢٦)، وفتح البيان في مقاصد القرآن (٧/ ٢٥٩).

(٢) تفسير الماتريدي = تأويلات أهل السنة (٦/ ٥١٨).

وقال الزجاج: (أي تالله لتسألن عنه سؤال توبيخ حتى تعترفوا به على أنفسكم، وتلزموا أنفسكم الحجة) [١].

والوجه الأول أرجح إذ السؤال نوعان: أحدهما سؤال التوبيخ والتقريع وهو من أنواع العذاب، والثاني هو سؤال الاستخبار والاستعلام[٢]. فالسؤال في هذه الآية: سؤال إلزام الحجة، لا سؤال الاستعلام والاستفهام[٣].

قال تعالى: {وَلَوْ شَاءَ اللَّهُ لَجَعَلَكُمْ أُمَّةً وَاحِدَةً وَلَكِنْ يُضِلُّ مَنْ يَشَاءُ وَيَهْدِي مَنْ يَشَاءُ وَلَتُسْأَلُنَّ عَمَّا كُنْتُمْ تَعْمَلُونَ} [النحل: ٩٣].

تتحدث الآية الكريمة عن حكمته تعالى في أنه لم يجعل الناس جميعا جماعة واحدة، وأهل ملة واحدة لا يختلفون ولا يفترقون، ولكنه تعالى ذكره خالف بينهم، فجعلهم أهل ملل شتى، بأن وفق هؤلاء للإيمان به، والعمل بطاعته، فكانوا مؤمنين، وخذل هؤلاء فحرمهم توفيقه فكانوا كافرين، والحكم في ذلك أنه سبحانه سيجازي الجميع يوم القيامة ويحاسب الناس على أعمالهم:

قال الطبري: (وليسألنكم الله جميعا يوم القيامة عما كنتم تعملون في الدنيا فيما أمركم ونهاكم، ثم ليجازينكم جزاء المطيع منكم بطاعته، والعاصي له بمعصيته) [٤].

فمعنى السؤال هنا أن كل إنسان سيسأل يوم القيامة عن أفعال جوارحه، فيقال له: لم سمعت ما لا يحل لك سماعه؟ ولم نظرت إلى ما لا يحل لك النظر إليه؟ ولم عزمت على ما لم يحل لك العزم عليه؟[٥]

---

(١) معاني القرآن وإعرابه للزجاج (٣/ ٢٠٥).

(٢) انظر: أضواء البيان في إيضاح القرآن بالقرآن (٧/ ٥٠٣).

(٣) انظر: تفسير السمعاني (٣/ ١٧٩).

(٤) تفسير الطبري (١٧/ ٢٨٧).

(٥) انظر: أضواء البيان في إيضاح القرآن بالقرآن (٣/ ١٥٥).

ويحتمل السؤال أيضا أن يكون بمعنى المحاسبة بتتبع الأعمال وتوقيع الجزاء المناسب عليها.

قال ابن كثير: (ثم يسألكم يوم القيامة عن جميع أعمالكم، فيجازيكم عليها على الفتيل والنقير والقطمير)[1].

وقال ابن عاشور: (ولتسألن عما كنتم تعملون ...، أي عما تعملون من عمل ضلال أو عمل هدى. والسؤال: كنية عن المحاسبة، لأنه سؤال حكيم تترتب عليه الإنارة وليس سؤال استطلاع)[2].

قال تعالى: {وَلَيَحْمِلُنَّ أَثْقَالَهُمْ وَأَثْقَالًا مَعَ أَثْقَالِهِمْ وَلَيُسْأَلُنَّ يَوْمَ الْقِيَامَةِ عَمَّا كَانُوا يَفْتَرُونَ} [العنكبوت: ١٣].

تتعرض الآية الكريمة للكفار ممن دعا إلى كفره وادعى أنه لو كان على خطأ من أمره فإنه مستعد لحمل تبعة ذلك بتحمل العذاب عمن يتبعه ويدين بالكفر، فيذكر المولى تبارك وتعالى مصيرهم السيئ بأنهم سيحملون أوزارهم بضلال أنفسهم، وأثقالا بإضلال غيرهم ودعائهم إليه[3]، وهذا مصداق قوله تعالى في آية: (لِيَحْمِلُوا أَوْزَارَهُمْ كَامِلَةً يَوْمَ الْقِيَامَةِ وَمِنْ أَوْزَارِ الَّذِينَ يُضِلُّونَهُمْ بِغَيْرِ عِلْمٍ)، ومصداق قول النبي ﷺ: "ما من داع دعا إلى هدى فاتبع عليه إلا كان له مثل أجور من اتبعه، ولا ينقص من أجورهم شيء ".

والمراد بالسؤال كما ذكر المفسرون هو التوبيخ وإلزام الحجة.

قال الزجاج: (وليسألن يوم القيامة عما كانوا يفترون). فذلك سؤال توبيخ كما قال: (وقفوهم إنهم مسئولون (٢٤). فأما سؤال استعلام فقد أعلم الله

---

(١) تفسير ابن كثير (٤/ ٦٠٠).

(٢) التحرير والتنوير (١٤/ ٢٦٨).

(٣) انظر: تفسير الماتريدي (٨/ ٢١٣)، تفسير ابن كثير ت سلامة (٦/ ٢٦٦)، واللباب في علوم الكتاب (١٥/ ٣٢٤).

– عز وجل – أنه لا يسأل سؤال استعلام في قوله: (فيومئذ لا يسأل عن ذنبه إنس ولا جان (٣٩))[١].

وقال ابن فورك: (يسألون سؤال توبيخ، وهو نظير سؤال تعجيز في النظر؛ كقولك للوثني ما البرهان على جواز عبادة الأوثان، وهو في قوله: {إِنَّ الَّذِينَ تَعْبُدُونَ مِنْ دُونِ اللَّهِ لَا يَمْلِكُونَ لَكُمْ رِزْقًا})[٢].

فيكون معنى السؤال حينئذ أن الله تعالى يسألهم الحجة على اتخاذهم الأصنام أو تسميتها آلهة أو دعواهم أن أتباعهم لا يتحملون عاقبة عبادة الأصنام أو أن الله أمرهم بعبادتها[٣]، وفي هذا السؤال توبيخ لهم إذ لا حجة لهم على ذلك بل فيه إلزام لهم بالحجة.

قال تعالى: {وَجَعَلُوا الْمَلَائِكَةَ الَّذِينَ هُمْ عِبَادُ الرَّحْمَنِ إِنَاثًا أَشَهِدُوا خَلْقَهُمْ سَتُكْتَبُ شَهَادَتُهُمْ وَيُسْأَلُونَ} [الزخرف: ١٩].

تتعرض هذه الآية لدعوى الكفار أن الملائكة إناث وأنهم بنات الله تعالى، وتذكر وعيد الله لهم في الآخرة بأنه سيحصي هذه الشهادة في كتاب وأنه سيسألهم عنها في الآخرة، ويطلب منهم الدليل على دعواهم وهذا على وجه السخرية والتقريع، إذ الله تعالى أعلم أنه ليس لهم بذلك من علم، وقد قال: {وما لهم به من علم} أي: ليس لهم علم صحيح يصدق ما قالوه، بل هو كذب وزور وافتراء، وكفر شنيع، { إن يتبعون إلا الظن وإن الظن لا يغني من الحق شيئا}، أي: لا يجدي شيئا، ولا يقوم أبدا مقام الحق[٤].

---

(١) معاني القرآن وإعرابه للزجاج (٤/ ١٦٣).

(٢) تفسير ابن فورك (١/ ٣٨١).

(٣) انظر: تفسير الماتريدي (٨/ ٢١٣)، وفتح البيان في مقاصد القرآن (١٠/ ١٧٣).

(٤) انظر: تفسير ابن كثير ت سلامة (٧/ ٤٥٩).

قال الطبري: (يقول تعالى ذكره: ستكتب شهادة هؤلاء القائلين: الملائكة بنات الله في الدنيا، بما شهدوا به عليهم، ويسألون عن شهادتهم تلك في الآخرة أن يأتوا ببرهان على حقيقتها، ولن يجدوا إلى ذلك سبيلا)[١].

قال تعالى: {وَإِذْ أَخَذْنَا مِنَ النَّبِيِّينَ مِيثَاقَهُمْ وَمِنْكَ وَمِنْ نُوحٍ وَإِبْرَاهِيمَ وَمُوسَى وَعِيسَى ابْنِ مَرْيَمَ وَأَخَذْنَا مِنْهُمْ مِيثَاقًا غَلِيظًا (٧) لِيَسْأَلَ الصَّادِقِينَ عَنْ صِدْقِهِمْ وَأَعَدَّ لِلْكَافِرِينَ عَذَابًا أَلِيمًا} [الأحزاب: ٧، ٨].

تختص دلالة السؤال في هذه الآية بالرسل الكرام أو من بعدهم من الصادقين الذين أخذوا عنهم، فالله سبحانه وتعالى يقول مخبرا عن أولي العزم من الرسل أنه أخذ عليهم العهد والميثاق في إقامة دين الله، وإبلاغ رسالته، والتعاون والتناصر والاتفاق[٢]، ثم قال سبحانه بأنه **{لِيَسْأَلَ الصَّادِقِينَ عَنْ صِدْقِهِمْ}**.

والمسؤول في هذه الآية إما الرسل كما ذهب الطبري: فيكون المعنى: (أخذنا من هؤلاء الأنبياء ميثاقهم كيما أسأل المرسلين عما أجابتهم به أممهم، وما فعل قومهم فيما أبلغوهم عن ربهم من الرسالة)[٣].

وقد يكون أتباعهم كما ذهب إليه ابن كثير قال: (وقوله: {ليسأل الصادقين عن صدقهم}، قال مجاهد: المبلغين المؤدين عن الرسل) [٤].

قال الزمخشري: (واذكر حين أخذنا من النبيين جميعا ميثاقهم بتبليغ الرسالة والدعاء إلى الدين القيم ومنك خصوصا ومن نوح وإبراهيم وموسى وعيسى، وإنما فعلنا ذلك؛ ليسأل الله يوم القيامة عند تواقف الأشهاد المؤمنين الذين صدقوا عهدهم ووفوا به، من جملة من أشهدهم على أنفسهم ألست بربكم قالوا: بلى، عن صدقهم عهدَهم وشهادَتهم، فيشهد لهم الأنبياء بأنهم صدقوا عهدَهم وشهادَتهم

(١) تفسير الطبري (٢١/ ٥٨٢).
(٢) انظر: تفسير ابن كثير (٦/ ٣٨٢).
(٣) تفسير الطبري = جامع البيان ت شاكر (٢٠/ ٢١٣).
(٤) تفسير ابن كثير ت سلامة (٦/ ٣٨٣).

وكانوا مؤمنين. **أو**: ليسأل المصدقين للأنبياء عن تصديقهم؛ لأن من قال للصادق: صدقت، كان صادقا في قوله. **أو**: ليسأل الأنبياء: ما الذي أجابتهم به أممهم. وتأويل مسألة الرسل: تبكيت الكافرين بهم، كقوله: أأنت قلت للناس اتخذوني وأمي إلهين من دون الله) [١].

ونكتة المسألة كما يذكر الشيخ الشعراوي رحمه الله أن الله تعالى يأتي بالرسل يوم القيامة فيقول لهم: أنتم بشَّرتم بأن الإله واحد، فأنتم صادقون؛ لأنكم أخذتُمْ هذه مني، ولما قامت الساعة ولم تجدوا إلهاً آخر يحمي الكافرين، إذن: فقد صدقت فيما أخبرت به، وصدقتم فيما بلغتم عني، حيث لم تجدوا في الآخرة إلا الإله الواحد، ولو كان معه سبحانه إله آخر لَدافع عن هؤلاء الكافرين، ومنعهم من العذاب. كذلك يسأل الرسل عن البعث الذي وعد الله به، وبلَّغوه لأممهم، وعن الحساب وما فيه من ثواب وعقاب، وكأن الحق سبحانه يسألهم: هل تخلَّف شيء مما أخبرتكم به؟ هل قصرت في إثابة المحسن أو معاقبة المسيء؟ إذن: صدق كلامي كله، فسؤال الصادق عن صِدْقه ليس تبكيتاً للصادق، إنما تبكيتاً لمن كذَّب به، وتكريم لهم، وشهادة بأنهم أدَّوْا ما عليهم [٢].

قال تعالى: {وَإِنَّهُ لَذِكْرٌ لَكَ وَلِقَوْمِكَ وَسَوْفَ تُسْأَلُونَ (٤٤)} [الزخرف: ٤٤]

تتحدث هذه الآية الكريمة عن تنزيل الله تعالى للقرآن على محمد ﷺ، وفضل الله في ذلك على محمد وقومه من قريش، ثم يعقب سبحانه بأنه سيسأل الجميع يوم القيامة بخصوص هذا الشرف [٣]، ومعنى السؤال يعتمد على الضمير في (تسألون) وفي تفسير كلمة (الذكر) وعلى المراد من قوله تعالى: (قومك).

---

(١) تفسير الزمخشري = الكشاف عن حقائق غوامض التنزيل (٣/ ٥٢٤).
(٢) انظر: تفسير الشعراوي (١٩/ ١١٩٤٩).
(٣) انظر: تفسير الطبري (٢١/ ٦١٠)، تفسير القرطبي (١٦/ ٩٤)، وتفسير ابن كثير (٧/ ٢٣٠).

قال الماوردي: ({وَإِنَّهُ لَذِكْرٌ لَّكَ وَلِقَوْمِكَ} يعني القرآن ذكر لك ولقومك. وفي {لَذِكْرٌ} قولان: أحدهما: الشرف، أي شرف لك ولقومك، قاله ابن عباس. الثاني: أنه لذكر لك ولقومك تذكرون به أمر الدين وتعملون به، حكاه ابن عيسى. {وَلِقَوْمِكَ} فيه قولان: أحدهما: من اتبعك من أمتك، قاله قتادة. الثاني: لقومك من قريش فيقال: ممن هذا الرجل؟ فيقال: من العرب، فيقال: من أي العرب؟ فيقال: من قريش، قاله مجاهد. {وَسَوْفَ تُسْأَلُونَ} فيه وجهان: أحدهما: عن الشكر، قاله مقاتل. الثاني: أنت ومن معك عما أتاك)(١).

فإما أن يكون المعنى أن الله سبحانه وتعالى سيسأل قريشًا في الآخرة عن القرآن ومدى شكرهم لهذه النعمة وهذا الفضل بالإيمان به والعمل بما فيه، أو يكون السؤال عاما لجميع المسلمين يوم القيامة.

وذهب بعض المفسرين إلى أن المراد: (وَسَوْفَ تُسْأَلُونَ) مَن كذبه؟(٢)، فيكون من قبيل شهادة الأمة على نفسها، كما ورد أن الأمة تشهد في حق باقي الأمم يوم القيامة، جاء في حديث أبي سعيد الخدري رضي الله عنه، قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: " يجيء نوح وأمته، فيقول الله تعالى، هل بلغت؟ فيقول نعم أي رب، فيقول لأمته: هل بلغكم؟ فيقولون: لا، ما جاءنا من نبي، فيقول لنوح: من يشهد لك؟ فيقول: محمد صلى الله عليه وسلم وأمته، فنشهد أنه قد بلغ، وهو قوله جل ذكره: وكذلك جعلناكم أمة وسطا لتكونوا شهداء على الناس، والوسط العدل"(٣).

---

(١) تفسير الماوردي = النكت والعيون (٥/ ٢٢٧).

(٢) تفسير الماتريدي = تأويلات أهل السنة (٩/ ١٦٩).

(٣) أخرجه البخاري، كتاب أحاديث الأنبياء، باب قول الله تعالى: {إنا أرسلنا نوحا إلى قومه أن أنذر قومك من قبل أن يأتيهم عذاب أليم} [نوح: ١]- إلى آخر السورة - (٤/ ١٣٤) برقم (٣٣٣٩).

قال تعالى: {ثُمَّ لَتُسْأَلُنَّ يَوْمَئِذٍ عَنِ النَّعِيمِ} [التكاثر: ٨].

يقرر المولى تبارك وتعالى أن يسأل العباد فيما يسألهم يوم القيامة عما أنعم عليهم به في الدنيا، وهذا السؤال إما أن يكون متوجها لعموم الأمة أو للكفار دون غيرهم، وقد أفاض الماتريدي في ذلك وفي وجهه فقال: (ظاهر هذا يقتضي أن يكون سؤالهم بعدما دخلوا النار؛ لأنه قال: (ثُمَّ لَتُسْأَلُنَّ) بعدما وصف أنهم يدخلون النار؛ فبان أنه في ذلك الوقت، فإن كان على ذلك، فهو في موضع التقرير عندهم: أنهم استوجبوا المقت والعقوبة؛ لأنه كان عندهم أن من أنعم عليه بنعمة، فلم يشكرها، استوجب المقت والعقوبة؛ فاللَّه – تعالى – يسألهم في ذلك الوقت عن شكر ما أنعم عليهم؛ ليقرر عندهم استيجاب العقوبة.

ويجوز أن يكون هذا عند الحساب؛ لأنه قال: (يَوْمَئِذٍ)، ولم يقل: قبل ذلك، أو بعده؛ بل قال على الإطلاق؛ فيعمل به. وإذا احتمل ذلك الوجه أن ينصرف إلى المؤمنين والكافرين كان الوجه في سؤال المؤمنين تذكيرهم أن أعمالهم لم تبلغ ما يستوفي بها شكر النعمة التي أنعمها عليهم، وليعلموا أن اللَّه – تعالى – تفضل عليهم، وتجاوز عنهم، لا أن بلغت إليه حسناتهم، فاستوجبوا رحمته بها؛ بل بكرمه وفضله. وإن كان في الكافرين، فهو تقرير ما استوجبوا من نقمته حيث تركوا شكر نعمه)(١).

وعلى هذا التقرير فإذا كان السؤال موجها لخصوص الكافرين، فإنهم يسألون عما تركوا من الإيمان باللَّه – تعالى – وبما أتى إليهم الرسول ﷺ وبغير ذلك من النعيم، وإن كان في المؤمنين فهو في سائر النعم من المأكول والمشروب والملبوس ونحوها(٢).

وبنحو ذلك فسر الماوردي الآية فقال: (وهذا السؤال يعم المؤمن والكافر، إلا أن سؤال المؤمن تبشير بأن جمع له بين نعيم الدنيا ونعيم الآخرة، وسؤال الكافر

---

(١) تفسير الماتريدي (١٠/ ٦١٠).
(٢) انظر: تفسير الماتريدي (١٠/ ٦١٠).

تقريع؛ لأنه قابل نعيم الدنيا بالكفر والمعصية، ويحتمل أن يكون ذلك تذكيراً بما أوتوه، ليكون جزاء على ما قدموه)[١].

والذي يسأل العبد عنه من النعيم هو كل نعمة ينعم بها الله تعالى على عباده من ملبوس ومأكول ومشروب ومرتفق به[٢].

يقول الطبري: (والصواب من القول في ذلك: أن يقال: إن الله أخبر أنه سائل هؤلاء القوم عن النعيم، ولم يخصص في خبره أنه سائلهم عن نوع من النعيم دون نوع، بل عم بالخبر في ذلك عن الجميع، فهو سائلهم كما قال عن جميع النعيم، لا عن بعض دون بعض)[٣].

فيسأل العباد يوم القيامة عن هذا النعيم: ماذا عملت فيه؟ ومن أين وصلت إليه،؟ وفيم أصبته؟ وماذا عمل به؟[٤].

عن أبي برزة الأسلمي، قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: «لا تزول قدما عبد يوم القيامة حتى يسأل عن عمره فيما أفناه، وعن علمه فيم فعل به، وعن ماله من أين اكتسبه وفيم أنفقه وعن جسمه فيم أبلاه»[٥].

قال تعالى: { وَإِذَا الْمَوْءُودَةُ سُئِلَتْ (٨) بِأَيِّ ذَنْبٍ قُتِلَتْ (٩)} [التكوير: ٨، ٩].

يتوجه المولى تبارك وتعالى بالسؤال للموؤدة وهي الطفلة التي دفنت حية في التراب، فيسألها عن الذنب الذي قتلت لأجله، ولما كانت لا ذنب لها يستوجب

(١) تفسير الماوردي = النكت والعيون (٦/ ٣٣٢).
(٢) انظر: معاني القرآن وإعرابه للزجاج (٥/ ٣٥٨).
(٣) تفسير الطبري (٢٤/ ٥٨٦).
(٤) انظر: تفسير الطبري (٢٤/ ٥٨١).
(٥) أخرجه الترمذي، أبواب صفة القيامة والرقائق والورع عن رسول الله ﷺ، باب في القيامة (٤/ ٦١٢) ح (٢٤١٧)، والدارمي (١/ ٤٥٢) ح (٥٥٤)، وقال الترمذي: حسن صحيح، وصححه الألباني، انظر: سلسلة الأحاديث الصحيحة وشيء من فقهها وفوائدها (٢/ ٦٢٩).

ذلك، والظاهر أن غاية السؤال "إظهار كمال الغيظ على قاتلها حتى كأنه لا يستحق أن يخاطب ويسأل عن ذلك، وفيه تبكيت لقاتلها وتوبيخ له شديد بصرف الخطاب كقوله (أأنت قلت للناس) وهذه الطريقة أفظع في ظهور جناية القاتل وإلزام الحجة عليه"(١).

قال الزمخشري: (فإن قلت: فما معنى سؤال الموؤدة عن ذنبها الذي قتلت به، وهلا سئل الوائد عن موجب قتله لها؟ قلت: سؤالها وجوابها تبكيت لقاتلها نحو التبكيت في قوله تعالى لعيسى أأنت قلت للناس ... إلى قوله ... سبحانك ما يكون لي أن أقول ما ليس لي بحق)(٢).

قال تعالى: {وَلَا يُسْأَلُ عَنْ ذُنُوبِهِمُ الْمُجْرِمُونَ} [القصص: ٧٨] وقال تعالى: {فَيَوْمَئِذٍ لَا يُسْأَلُ عَنْ ذَنْبِهِ إِنْسٌ وَلَا جَانٌّ} [الرحمن: ٣٩]

في هاتين الآيتين ينفي المولى تبارك وتعالى أنه يسأل المجرمين عن ذنوبهم، وقد تقرر آنفا أنه أثناء وقوع المحاسبة يسأل الله تبارك وتعالى عباده عن ذنوبهم وعن نعمه عليهم، وعن كل ما بدر منهم في الحياة الدنيا، ولا تعارض بين هذا وذاك؛ لأن السؤال عن الذنوب المنفي في الآيات: المراد به سؤال الاستخبار والاستعلام ؛ لأنه جل وعلا محيط علمه بكل شيء، ولا ينافي نفي هذا النوع من السؤال ثبوت نوع آخر منه هو سؤال التوبيخ والتقريع؛ لأنه نوع من أنواع العذاب، ويدل لهذا أن سؤال الله للكفار في القرآن كله توبيخ وتقريع(٣) كقوله: {وَقِفُوهُمْ إِنَّهُمْ مَسْئُولُونَ (٢٤) مَا لَكُمْ لَا تَنَاصَرُونَ (٢٥) بَلْ هُمُ الْيَوْمَ مُسْتَسْلِمُونَ (٢٦)} [الصافات: ٢٤، ٢٦]، وقوله تعالى: {أَفَسِحْرٌ هَذَا أَمْ أَنْتُمْ لَا تُبْصِرُونَ} [الطور: ١٥]، كسؤال الموؤودة {بِأَيِّ ذَنْبٍ قُتِلَتْ} [التكوير: ٩].

---

(١) فتح البيان في مقاصد القرآن (١٥/ ١٠٠).

(٢) تفسير الزمخشري = الكشاف عن حقائق غوامض التنزيل (٤/ ٧٠٨).

(٣) انظر: أضواء البيان في إيضاح القرآن بالقرآن (٢/ ٧).

والخلاصة: أن السؤال من صور الحساب في القرآن الكريم، ومعناه على ما نطقت الآيات الكريمة والأحاديث التي وردت في معناها أن الله سبحانه يسأل عباده عن أعمالهم في الدنيا خيرها وشرها، وما علموا في الأمر والنهي على أنه في مقام الذنوب يتضمن توبيخا وتقريعا من الله تعالى تعجيزا للمذنبين وإقامة للحجة عليهم في مقام المحاسبة، ويمكن أن يأتي في بعض موادره بمعنى عموم المحاسبة التي سبق عرضها فيكون كنية عن عملية المحاسبة في الآخرة بأسرها.

* *

المبحث الرابع

الإحصاء والكتابة

المطلب الأول: الإحصاء.

الإحصاء هو: "التحصيل بالعدد، يقال: قد أحصيت كذا، وذلك من لفظ الحصا، واستعمال ذلك فيه من حيث إنهم كانوا يعتمدونه بالعد كاعتمادنا فيه على الأصابع، قال الله تعالى: وأحصى كل شيء عددا، أي: حصله وأحاط به"[١].

قال ابن بطال: (الإحصاء فى اللغة على وجهين: أحدهما بمعنى: الإحاطة بعلم عدد الشىء وقدره، ومنه قوله تعالى: ﴿وَأَحْصَى كُلَّ شَيْءٍ عَدَدًا﴾[٢])[٣].

فالإحصاء هو العد، وهو من جانب الله تعالى إحاطة بعدد الشيء وقدره على الوجه الأكمل، فلا يفوته شيء من خلقه عدا وإحصاء، كما قال تعالى ﴿وَأَحَاطَ بِمَا لَدَيْهِمْ وَأَحْصَى كُلَّ شَيْءٍ عَدَدًا﴾[٤])[٥].

قال ابن منظور: (وفي أسماء الله تعالى: المحصي؛ هو الذي أحصى كل شيء بعلمه فلا يفوته دقيق منها ولا جليل. والإحصاء: العد والحفظ. وأحصى الشيء: أحاط به. وفي التنزيل: وأحصى كل شيء عددا؛ الأزهري: أي أحاط علمه سبحانه باستيفاء عدد كل شيء)[٦].

---

(١) انظر: المفردات في غريب القرآن (ص: ٢٤٠).

(٢) سورة الجن، الآية: ٢٨.

(٣) شرح صحيح البخارى لابن بطال (١٠/ ٤١٩).

(٤) سورة الجن، الآية: ٢٨.

(٥) تفسير أسماء الله الحسنى للزجاج (ص: ٥٥)، وشرح صحيح البخارى لابن بطال (١٠/ ٤١٩).

(٦) لسان العرب (١٤/ ١٨٤).

فإسناد الإحصاء إلى الله تعالى دلالته العلم التام بعدد الشيء وقدره، دق ذلك الشيء أو جل ولهذا قالوا: (المحصي الذي بما في الخواطر بصير وبما في السرائر خبير)(١).

ومن كان هذا حاله فإنه لا يفوته شيء من أعمال عباده إحصاء وعدا.

قال الغزالي: (المحصي: العالم، ولكن إذا أضيف العلم إلى المعلومات من حيث يحصي المعلومات ويعدها ويحيط بها سمي إحصاء، والمحصي المطلق هو الذي ينكشف في علمه حد كل معلوم وعدده ومبلغه، والعبد وإن أمكنه أن يحصي بعلمه بعض المعلومات فإنه يعجز عن حصر أكثرها فمدخله في هذا الاسم ضعيف كمدخله في أصل العلم)(٢).

وقد وردت السنة النبوية بالتصريح بأن الله تعالى يحصي أعمال العباد فقال النبي ﷺ فيما يرويه عن ربه قال: «يا عبادي إنما هي أعمالكم أحصيها لكم، ثم أوفيكم إياها، فمن وجد خيرا فليحمد الله، ومن وجد غير ذلك فلا يلومن إلا نفسه»(٣).

أما في القرآن الكريم فقد ورد ذكر إحصاء أعمال العباد في أكثر من وضع في القرآن الكريم، منها قوله تعالى: ﴿وَوُضِعَ الْكِتَابُ فَتَرَى الْمُجْرِمِينَ مُشْفِقِينَ مِمَّا فِيهِ وَيَقُولُونَ يَاوَيْلَتَنَا مَالِ هَذَا الْكِتَابِ لَا يُغَادِرُ صَغِيرَةً وَلَا كَبِيرَةً إِلَّا أَحْصَاهَا وَوَجَدُوا مَا عَمِلُوا حَاضِرًا وَلَا يَظْلِمُ رَبُّكَ أَحَدًا﴾(٤).

يخبر المولى تبارك وتعالى في هذه الآية عن تحسر العصاة والكفار يوم القيامة عندما تنشر الصحف وتعرض الأعمال، فيقولون: (مال هذا الكتاب لا

(١) انظر: شرح أسماء الله الحسنى (ص: ٢٢٤).

(٢) المقصد الأسنى (ص: ١٣٠).

(٣) أخرجه مسلم، كتاب البر والصلة والآدب، باب تحريم الظلم (٤/ ١٩٩٤) ح (٢٥٧٧).

(٤) سورة الكهف، الآية: ٤٩.

يترك أمرا صغيرا دقيقا، ولا كبيرا إلا أحصاه، أي: أنه أحاط إحاطة كاملة بأعمالهم، فوجدوا ما عملوا حاضرا، ينادي بآثامهم، وإدانتهم ليتقدموا للحساب العسير الذي نهايته العقاب بالعذاب الأليم[١]. (ولا يظلم ربك أحدا) فلا يجازي أحدا بغير ما هو أهله، فلا يجازي بالإحسان إلا أهل الإحسان، ولا بالسيئة إلا أهل السيئة، وذلك هو العدل[٢].

قال ابن كثير: (وقوله: {ووضع الكتاب} أي: كتاب الأعمال، الذي فيه الجليل والحقير، والفتيل والقطمير، والصغير والكبير {فترى المجرمين مشفقين مما فيه} أي: من أعمالهم السيئة وأفعالهم القبيحة، {ويقولون يا ويلتنا} أي: يا حسرتنا وويلنا على ما فرطنا في أعمارنا {مال هذا الكتاب لا يغادر صغيرة ولا كبيرة إلا أحصاها﴾ أي: لا يترك ذنبا صغيرا ولا كبيرا ولا عملا وإن صغر {إلا أحصاها} أي: ضبطها، وحفظها)[٣].

وقال تعالى: {إِنَّا نَحْنُ نُحْيِ الْمَوْتَى وَنَكْتُبُ مَا قَدَّمُوا وَآثَارَهُمْ وَكُلَّ شَيْءٍ أَحْصَيْنَاهُ فِي إِمَامٍ مُبِينٍ}[٤].

في الآية الشريفة إخبار عن أن أعمال العباد تحصى عليهم، فتكتب هذه الأعمال ليحاسب عليها العباد، ويكتب ما يترتب عليها من آثار في حياة صاحبها وبعد وفاته، وذلك كما قال النبي ﷺ: «من سن في الإسلام سنة حسنة، فله أجرها، وأجر من عمل بها بعده، من غير أن ينقص من أجورهم شيء، ومن سن في الإسلام سنة سيئة، كان عليه وزرها ووزر من عمل بها من بعده، من غير أن

(١) انظر: زهرة التفاسير (٩/ ٤٥٤١).
(٢) تفسير الطبري (١٨/ ٣٩).
(٣) تفسير ابن كثير (٥/ ١٦٥).
(٤) سورة يس، الآية: ١٢.

ينقص من أوزارهم شيء»[1]، ونحوه قوله تعالى: ﴿يُنَبَّأُ الإنسان يَوْمَئِذٍ بِمَا قَدَّمَ وَأَخَّرَ﴾[2].

قال البيضاوي: (إنا نحن نحي الموتى الأموات بالبعث أو الجهال بالهداية، ونكتب ما قدموا ما أسلفوا من الأعمال الصالحة والطالحة. وآثارهم الحسنة كعلم علموه وحبيس وقفوه، والسيئة كإشاعة باطل وتأسيس ظلم)[3].

وفي قوله تعالى الإمام المبين وجهان: الأول: اللوح المحفوظ وهو قول قتادة، والثاني: صحائف الأعمال، فعلى التأويل الأول "يكون ذلك بيانا لكون ما قدموا وآثارهم أمرا مكتوبا عليهم لا يبدل، فإن القلم جف بما هو كائن فلما قال: نكتب ما قدموا بين أن قبل ذلك كتابة أخرى، فإن الله كتب عليهم أنهم سيفعلون كذا وكذا، ثم إذا فعلوه كتب عليهم أنهم فعلوه"[4].

وقوله: ﴿أحصيناه﴾ أبلغ من ﴿كتبناه﴾؛ لأن من كتب شيئا مفرقا يحتاج إلى جمع عدده فقال: هو محصى فيه[5].

وقال تعالى: ﴿يَوْمَ يَبْعَثُهُمُ اللَّهُ جَمِيعًا فَيُنَبِّئُهُمْ بِمَا عَمِلُوا أَحْصَاهُ اللَّهُ وَنَسُوهُ وَاللَّهُ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ شَهِيدٌ﴾[6].

هذه الآية توعد للكافرين بالعذاب في الآخرة الذي يتنوع بين العذاب بالنار والافتضاح على رؤوس الأشهاد، فهو سبحانه سيبعث الكافرين يوم القيامة، فينبئهم بما عملوا في الدنيا من الأعمال القبيحة، إما ببيان صدورها عنهم توبيخاً لهم

---

(١) أخرجه مسلم، كتاب الزكاة، باب الحث على الصدقة ولو بشق تمرة، أو كلمة طيبة وأنها حجاب من النار (٢/ ٧٠٤) ح (١٠١٧).

(٢) تفسير النسفي = مدارك التنزيل وحقائق التأويل (٣/ ٩٨).

(٣) تفسير البيضاوي (أنوار التنزيل وأسرار التأويل) (٤/ ٢٦٤).

(٤) تفسير الرازي (مفاتيح الغيب أو التفسير الكبير) (٢٦/ ٢٥٨).

(٥) انظر: السابق (٢٦/ ٢٥٩).

(٦) سورة يس، الآية: ١٢.

وتكميلاً للحجة عليهم أو بتصويرها في صورة قبيحة هائلة على رؤوس الأشهاد. تخجيلاً لهم وتشهيراً بحالهم وتشديداً لعذابهم، والحال أنه سبحانه (أحصاه) وهذا لو قيل: كيف ينبئهم بذلك مع كثرته واختلاف أنواعه؟ فقيل: أحصاه الله جميعاً، ولم يفته منه شيء وإن كانوا قد (نسوه) ولم يحفظوه (والله على كل شيء شهيد) أي لا يخفى عليه شيء من الأشياء، بل هو مطلع وناظر[١].

قال الطبري: (يقول تعالى ذكره: وللكافرين عذاب مهين في يوم يبعثهم الله جميعا، وذلك (يوم يبعثهم الله جميعا) من قبورهم لموقف القيامة، (فينبئهم) الله (بما عملوا أحصاه الله ونسوه). يقول تعالى ذكره: أحصى الله ما عملوا، فعده عليهم، وأثبته وحفظه، ونسيه عاملوه. (والله على كل شيء شهيد) يقول: (والله) جل ثناؤه (على كل شيء) عملوه، وغير ذلك من أمر خلقه (شهيد) يعني: شاهد يعلمه ويحيط به، فلا يعزب عنه شيء منه)[٢].

وقال تعالى: ﴿إِنَّهُمْ كَانُوا لَا يَرْجُونَ حِسَابًا (٢٧) وَكَذَّبُوا بِآيَاتِنَا كِذَّابًا (٢٨) وَكُلَّ شَيْءٍ أَحْصَيْنَاهُ كِتَابًا (٢٩) فَذُوقُوا فَلَنْ نَزِيدَكُمْ إِلَّا عَذَابًا﴾[٣].

في هذه الآية يخبر المولى تبارك وتعالى عن فئة من عباده أنكرت الحساب وكذبت بآيات الله تعالى: أنه عالم بجميع ما فعله عباده، وعالم بجهات تلك الأفعال وأحوالها واعتباراتها التي لأجلها يحصل استحقاق الثواب والعقاب، وأنه سوف يعذبهم على قبائح أعمالهم في الآخرة، ويقول لهم: ذوقوا، والأمر أمر إهانة وتحقير، كما أنه سبحانه سوف يزيد في عذابهم ومن الزيادة: أنه كلما نضجت جلودهم بدلهم الله جلوداً غيرها، وكلما خبت النار زادهم الله سعيراً[٤].

---

(١) انظر: فتح البيان في مقاصد القرآن (١٤/ ١٨).

(٢) تفسير الطبري (٢٣/ ٢٣٦).

(٣) سورة النبأ، الآية: ٢٧ – ٣٠.

(٤) انظر: تفسير الرازي (٣١/ ٢٠).

قال الطبري: (﴿وكل شيء أحصيناه كتابا﴾ يقول تعالى ذكره: وكل شيء أحصيناه فكتبناه كتابا، كتبنا عدده ومبلغه وقدره، فلا يعزب عنا علم شيء منه، ونصب كتابا؛ لأن في قوله: (أحصيناه) مصدر أثبتناه وكتبناه، كأنه قيل: وكل شيء كتبناه كتابا)[1].

والإحصاء المذكور قد يراد به ما كتب في اللوح المحفوظ أو ما كتبه الحفظة على بني آدم من أعمالهم التي يعملونها في الدنيا، وفيه وجه آخر وهو: علم المولى تبارك وتعالى، وقد ذكر القرطبي هذه الأوجه، وجاء بالأول بصيغة التمريض فقال: (قيل: أراد به العلم، فإن ما كتب كان أبعد من النسيان. وقيل: أي كتبناه في اللوح المحفوظ لتعرفه الملائكة. وقيل: أراد ما كتب على العباد من أعمالهم. فهذه كتابة صدرت عن الملائكة الموكلين بالعباد بأمر الله تعالى إياهم بالكتابة، دليله قوله تعالى: وإن عليكم لحافظين. ﴿كراما كاتبين﴾[2].

وعلى كل فالحاصل من هذه الآيات: أن الله تعالى يحصي أعمال العباد عليهم صفة وقدرا وعددا ويحيط بها إحاطة تامة، فلا يغيب عنه مثقال ذرة مما عملوه، ثم يجازيهم عليها كما سبق بيانه في مبحث الحساب.

المطلب الثاني: الكتابة.

جاءت كتابة الأعمال في آيات القرآن الكريم للدلالة على تقييد كل ما يصدر عن العباد من أعمال من خير وشر، بل دلت على أن أدق تفاصيل كل عمل تسجل في كتاب ينشر أمام العبد يوم القيامة؛ ليرى فيه عمله ويسأل على الكيفية التي سبق ذكرها في الحساب، ومن ذلك:

قوله تعالى: ﴿لَقَدْ سَمِعَ اللَّهُ قَوْلَ الَّذِينَ قَالُوا إِنَّ اللَّهَ فَقِيرٌ وَنَحْنُ أَغْنِيَاءُ سَنَكْتُبُ مَا قَالُوا وَقَتْلَهُمُ الْأَنْبِيَاءَ بِغَيْرِ حَقٍّ وَنَقُولُ ذُوقُوا عَذَابَ الْحَرِيقِ﴾[3].

---

(١) تفسير الطبري (٢٤/ ١٦٩).
(٢) تفسير القرطبي (١٩/ ١٨٢).
(٣) سورة آل عمران، الآية: ١٨١.

قال السدي: قالها فنحاص اليهودي من بني مرثد، لقيه أبو بكر فكلمه، فقال له: يا فنحاص، اتق الله وآمن وصدق، وأقرض الله قرضا حسنا! فقال فنحاص: يا أبا بكر، تزعم أن ربنا فقير يستقرضنا أموالنا! وما يستقرض إلا الفقير من الغني! إن كان ما تقول حقا، فإن الله إذا لفقير! فأنزل الله عز وجل هذا، فقال أبو بكر: فلولا هدنة كانت بين النبي صلى الله عليه وسلم وبين بني مرثد لقتلته[١].

وقد ذكر الله تعالى أنه كتب هذه المقالة في سجل أعماله وأن ذلك لا يفوت عليه وأنه سيحاسبه على ذلك يوم القيامة[٢].

قال السمرقندي: (يكتب عليهم الكرام الكاتبون ويؤاخذون به في الآخرة، (وقتلهم)، أي: ونكتب قتلهم الأنبياء بغير حق يعني: بلا جرم ونقول: ذوقوا عذاب الحريق، أي: تقول لهم خزنة جهنم في الآخرة ذلك)[٣].

ومن هذا القبيل قوله تعالى: ﴿كَلَّا سَنَكْتُبُ مَا يَقُولُ وَنَمُدُّ لَهُ مِنَ الْعَذَابِ مَدًّا﴾[٤].

وقد جاء في كليهما بالتسويف، مع أن الحفظة كتبوه عليه بمجرد صدوره منه كما يفيد قوله تعالى: ﴿مَا يَلْفِظُ مِنْ قَوْلٍ إِلَّا لَدَيْهِ رَقِيبٌ عَتِيدٌ﴾[٥].

وقد أجاب الزمخشري عن هذا التساؤل فقال: (قلت: فيه وجهان، أحدهما: سنظهر له ونعلمه أنا كتبنا قوله ... أى تبين وعلم بالانتساب أنى لست بابن

---

(١) تفسير الطبري = جامع البيان ت شاكر (٧/ ٤٤٣).

(٢) انظر: فتح البيان في مقاصد القرآن (٢/ ٣٨٩).

(٣) تفسير السمرقندي (١/ ٢٧٠).

(٤) سورة مريم، الآية: ٧٩.

(٥) سورة، ق، الآية: ١٨.

لئيمة. والثاني: أن المتوعد يقول للجاني: سوف أنتقم منك، يعنى أنه لا يخل بالانتصار وإن تطاول به الزمان واستأخر، فجرد هاهنا لمعنى الوعيد) [١].

ومثله قوله تعالى: ﴿وَجَعَلُوا الْمَلَائِكَةَ الَّذِينَ هُمْ عِبَادُ الرَّحْمَنِ إِنَاثًا أَشَهِدُوا خَلْقَهُمْ سَتُكْتَبُ شَهَادَتُهُمْ وَيُسْأَلُونَ} [٢]، وقد سبق تفسيره.

وقال تعالى: ﴿وَإِذَا أَذَقْنَا النَّاسَ رَحْمَةً مِنْ بَعْدِ ضَرَّاءَ مَسَّتْهُمْ إِذَا لَهُمْ مَكْرٌ فِي آيَاتِنَا قُلِ اللَّهُ أَسْرَعُ مَكْرًا إِنَّ رُسُلَنَا يَكْتُبُونَ مَا تَمْكُرُونَ﴾ [٣].

فيه بيان أن الرسل الحفظة يسجلون هذا المكر؛ ليعاقبهم عليه المولى في الآخرة، وفي هذا وعيد لهم شديد وتحقيق للانتقام منهم [٤]. ومثله قوله تعالى: ﴿وَاللَّهُ يَكْتُبُ مَا يُبَيِّتُونَ فَأَعْرِضْ عَنْهُمْ وَتَوَكَّلْ عَلَى اللَّهِ وَكَفَى بِاللَّهِ وَكِيلًا ﴾ [٥].

قال ابن كثير: (﴿والله يكتب ما يبيتون﴾ أي: يعلمه ويكتبه عليهم بما يأمر به حفظته الكاتبين، الذين هم موكلون بالعباد. يعلمون ما يفعلون. والمعنى في هذا التهديد، أنه تعالى أخبر بأنه عالم بما يضمرونه ويسرونه فيما بينهم، وما يتفقون عليه ليلا من مخالفة الرسول وعصيانه، وإن كانوا قد أظهروا له الطاعة والموافقة، وسيجزيهم على ذلك) [٦].

فالله سبحانه يحصي كل شيء على العباد، بما في ذلك: ما عملوه في مشهد من الناس وما عملوه في السر، فكل عمل الإنسان تتابعه الحفظة وتكتبه على

---

(١) تفسير السمرقندي (١/ ٢٧٠).

(٢) سورة الزخرف، الآية: ١٩.

(٣) سورة يونس، الآية: ٢١.

(٤) فتح البيان في مقاصد القرآن (٦/ ٣٧).

(٥) سورة النساء، الآية: ٨١.

(٦) تفسير ابن كثير (٢/ ٣٦٤).

صاحبه سرا كان أم جهرا، قال تعالى: ﴿أَمْ يَحْسَبُونَ أَنَّا لَا نَسْمَعُ سِرَّهُمْ وَنَجْوَاهُمْ بَلَى وَرُسُلُنَا لَدَيْهِمْ يَكْتُبُونَ﴾[1].

قال الطبري: (وقوله: (بلى ورسلنا لديهم يكتبون) يقول تعالى ذكره: بل نحن نعلم ما تناجوا به بينهم، وأخفوه عن الناس من سر كلامهم، وحفظتنا لديهم، يعني عندهم يكتبون ما نطقوا به من منطق، وتكلموا به من كلامهم)[2].

وذكر الطبرى أن هذه الآية نزلت في نفر ثلاثة تدارءوا في سماع الله تبارك وتعالى كلام عباده، فروى بسنده إلى محمد بن كعب القرظي، قال: بينا ثلاثة بين الكعبة وأستارها، قرشيان وثقفي، أو ثقفيان وقرشي، فقال واحد من الثلاثة: أترون الله يسمع كلامنا؟ فقال الأول: إذا جهرتم سمع، وإذا أسررتم لم يسمع، قال الثاني: إن كان يسمع إذا أعلنتم، فإنه يسمع إذا أسررتم، قال: فنزلت (أم يحسبون أنا لا نسمع سرهم ونجواهم بلى ورسلنا لديهم يكتبون) [3].

وقال تعالى: ﴿مَا كَانَ لِأَهْلِ الْمَدِينَةِ وَمَنْ حَوْلَهُمْ مِنَ الْأَعْرَابِ أَنْ يَتَخَلَّفُوا عَنْ رَسُولِ اللَّهِ وَلَا يَرْغَبُوا بِأَنْفُسِهِمْ عَنْ نَفْسِهِ ذَلِكَ بِأَنَّهُمْ لَا يُصِيبُهُمْ ظَمَأٌ وَلَا نَصَبٌ وَلَا مَخْمَصَةٌ فِي سَبِيلِ اللَّهِ وَلَا يَطَئُونَ مَوْطِئًا يَغِيظُ الْكُفَّارَ وَلَا يَنَالُونَ مِنْ عَدُوٍّ نَيْلًا إِلَّا كُتِبَ لَهُمْ بِهِ عَمَلٌ صَالِحٌ إِنَّ اللَّهَ لَا يُضِيعُ أَجْرَ الْمُحْسِنِينَ * وَلَا يُنْفِقُونَ نَفَقَةً صَغِيرَةً وَلَا كَبِيرَةً وَلَا يَقْطَعُونَ وَادِيًا إِلَّا كُتِبَ لَهُمْ لِيَجْزِيَهُمُ اللَّهُ أَحْسَنَ مَا كَانُوا يَعْمَلُونَ﴾[4].

---

(١) سورة الزخرف، الآية: ٨٠.

(٢) تفسير الطبري (٢١/ ٦٤٧).

(٣) السابق (٢١/ ٦٤٧).

(٤) سورة التوبة، الآية: ١٢١.

فهاتان الآيتان تصوران كيفية كتابة الأعمال وأن الطاعة الواحدة أو المعصية تكتب ويكتب كل ما يتعلق بها من تفاصيل[1].

قال الرازي: (ولا ينالون من عدو نيلا أي: أسرا وقتلا وهزيمة قليلا كان أو كثيرا إلا كتب لهم به عمل صالح، أي: إلا كان ذلك قربة لهم عند الله ونقول: دلت هذه الآية على أن من قصد طاعة الله كان قيامه وقعوده ومشيته وحركته وسكونه كلها حسنات مكتوبة عند الله، وكذا القول في طرف المعصية فما أعظم بركة الطاعة! وما أعظم شؤم المعصية!) [2].

وقوله تعالى: ﴿وَلَا يُنْفِقُونَ نَفَقَةً صَغِيرَةً وَلَا كَبِيرَةً﴾ تأكيد للمعنى السابق، وأن كل الأعمال تكتب على العباد ويجازون عليها، لأنه إذا كتبت الصغيرة، فالكبيرة أحرى[3]، وذلك في معنى قوله تعالى: ﴿إِنَّ اللَّهَ لَا يَظْلِمُ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ﴾[4]، وقوله تعالى: ﴿وَمَا يَعْزُبُ عَنْ رَبِّكَ مِنْ مِثْقَالِ ذَرَّةٍ فِي الْأَرْضِ وَلَا فِي السَّمَاءِ وَلَا أَصْغَرَ مِنْ ذَلِكَ وَلَا أَكْبَرَ إِلَّا فِي كِتَابٍ مُبِينٍ﴾[5]، ﴿فَمَنْ يَعْمَلْ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ خَيْرًا يَرَهُ (٧) وَمَنْ يَعْمَلْ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ شَرًّا يَرَهُ﴾[6].

وهذا ما يدل عليه قوله تعالى: ﴿مَا يَلْفِظُ مِنْ قَوْلٍ إِلَّا لَدَيْهِ رَقِيبٌ عَتِيدٌ﴾[7]: (ما يتكلم بكلمة ﴿إِلَّا لَدَيْهِ رَقِيبٌ عَتِيدٌ﴾ أي: إلا ولها من يراقبها مُعتَدّ لذلك يكتبها، لا يترك كلمة ولا حركة، كما قال تعالى: ﴿وَإِنَّ عَلَيْكُمْ لَحَافِظِينَ (١٠) كِرَامًا

(١) انظر: فتح البيان في مقاصد القرآن (٥/ ٤٢٣).
(٢) تفسير الرازي (١٦/ ١٦٩).
(٣) انظر: تفسير ابن عطية (٣/ ٩٦).
(٤) سورة النساء، الآية: ٤٠.
(٥) سورة يونس، الآية: ٦١.
(٦) سورة الزلزلة، الآية: ٧ – ٨.
(٧) سورة ق، الآية: ١٨.

كَاتِبِينَ﴾[١]، وقد اختلف العلماء: هل يكتب الملك كل شيء من الكلام؟ وهو قول الحسن وقتادة، أو إنما يكتب ما فيه ثواب وعقاب كما هو قول ابن عباس، على قولين، وظاهر الآية الأول، لعموم قوله: ﴿مَا يَلْفِظُ مِنْ قَوْلٍ إِلَّا لَدَيْهِ رَقِيبٌ عَتِيدٌ﴾)[٢].

وقد وردت صفة كتابة الأعمال في حديث ابن عباس عن النبي ﷺ فيما يروي عن ربه عز وجل قال: قال: «إن الله كتب الحسنات والسيئات ثم بين ذلك، فمن هم بحسنة فلم يعملها كتبها الله له عنده حسنة كاملة، فإن هو هم بها فعملها كتبها الله له عنده عشر حسنات إلى سبع مائة ضعف إلى أضعاف كثيرة، ومن هم بسيئة فلم يعملها كتبها الله له عنده حسنة كاملة، فإن هو هم بها فعملها كتبها الله له سيئة واحدة»[٣].

والحاصل أن كتابة الأعمال لها نفس معنى الإحصاء في المطلب الأول، فالكتابة هنا كتابة إحصاء ورصد دقيق لكل ما يصدر عن العباد، فيسجل الحفظة عليهم كل ما جاءوا به من أقوال وأفعال ثم تعرض عليهم يوم القيامة ليجازوا عليها بما يتناسب معها، فمن عمل في الدنيا وزن ذرة من خير، يجازى على ذلك خيرا، ومن عمل في الدنيا وزن ذرة من شر يجازى على ذلك شرا[٤].

**

(١) سورة الانفطار، الآية: ١٠، ١١.

(٢) تفسير ابن كثير (٧/ ٣٩٨).

(٣) أخرجه البخاري، كتاب الرقاق، باب من هم بحسنة أو بسيئة (٨/ ١٠٣) ح (٦٤٩١) ومسلم، كتاب الإيمان، باب إذا هم العبد بحسنة كتبت، وإذا هم بسيئة لم تكتب (١/ ١١٨) ح (١٣١).

(٤) تفسير الطبري (٢٤/ ٥٤٩).

المبحث الخامس

الوزن والميزان

المطلب الأول: الوزن والميزان في اللغة.

يقال: وزن فلان الدراهم وزنا بالميزان، وإذا كال فقد وزنه أيضا. ويقال: وزن الشيء إذا قدره، ووزن ثمر النخل إذا خرصه[1]، ويقال وزن الشيء (زنة) أيضا، ويقال: (وزنت) فلانا ووزنت لفلان، قال الله – تعالى –: ﴿وَإِذَا كَالُوهُمْ أَوْ وَزَنُوهُمْ يُخْسِرُونَ﴾[2]. وهذا يزن درهما. معناه: أنه يساوي درهما في القيمة لا في الثقل. ومنه الحديث: «لو كانت الدنيا تزن عند الله جناح بعوضة»[3] أي تعدل وتساوي. ودرهم (وازن)[4]. ويقال: للآلة التي يوزن بها الأشياء ميزان أيضا؛ قال الجوهري: (أصله موزان، انقلبت الواو ياء لكسرة ما قبلها، وجمعه موازين)[5]. وقال ابن

(١) انظر: تهذيب اللغة (١٣/ ١٧٥).

(٢) سورة المطففين، الآية: ٣.

(٣) أخرجه الترمذي، أبواب الزهد، باب ما جاء في هوان الدنيا على الله عز وجل (٤/ ٥٦٠) ح (٢٣٢٠)، وابن ماجه، كتاب الزهد، باب مثل الدنيا (٢/ ١٣٧٦) ح (٤١١٠)، قال الترمذي: (وفي الباب عن أبي هريرة: «هذا حديث صحيح غريب من هذا الوجه»)، والحاكم في المستدرك (٤/ ٣٤١) ح (٧٨٤٧)، وقال: (هذا حديث صحيح الإسناد ولم يخرجاه)، وتعقبه الذهبي فقال: زكريا بن منظور ضعفوه)، وقال السخاوي: في المقاصد الحسنة (ص: ٥٥٠): (لو صحح الحديث لكان متوجها، ففي الباب عن ابن عمر أخرجه القضاعي من حديث أبي جعفر محمد بن أحمد أبي عون حدثنا أبو منصور عن مالك عن نافع عنه رفعه بجملة، لو كانت الدنيا فقط. لكن بلفظ: شربة ماء، بدل: قطرة أبدا، وعن أبي هريرة أشار إليه الترمذي).

(٤) انظر: مختار الصحاح (ص: ٣٣٧).

(٥) الصحاح (٦/ ٢٢١٣).

فارس: (وجائز أن تقول للميزان الواحد بأوزانه موازين. قال الله تعالى: ونضع الموازين القسط؛ يريد نضع الميزان القسط)[١].

المطلب الثاني: الوزن والميزان في القرآن والسنة.

ورد الوزن والميزان في القرآن الكريم والسنة النبوية بنفس معناهما في اللغة، فالوزن هي عملية حساب الأعمال بآلة لها كيفية يعلمها الله تعالى، وقد ورد ذلك في عدد من آيات القرآن الكريم أتناولها بالدراسة فيما يلي:

قال تعالى: ﴿وَالْوَزْنُ يَوْمَئِذٍ الْحَقُّ فَمَنْ ثَقُلَتْ مَوَازِينُهُ فَأُولَئِكَ هُمُ الْمُفْلِحُونَ (٨) وَمَنْ خَفَّتْ مَوَازِينُهُ فَأُولَئِكَ الَّذِينَ خَسِرُوا أَنْفُسَهُمْ بِمَا كَانُوا بِآيَاتِنَا يَظْلِمُونَ﴾[٢].

اختلف أهل العلم في كيفية هذا الوزن على أقوال:

الأول: أن الذي يوزن هو صحائف أعمال العباد بالميزان وزناً حقيقياً.

الثاني: أنه نفس الأعمال وإن كانت أعراضاً فإن الله يقلبها يوم القيامة أجساماً كما جاء في الخبر الصحيح "أن البقرة وآل عمران تأتيان يوم القيامة كأنهما غمامتان، أو كأنهما غيايتان، أو كأنهما فرقان من طير صواف، تحاجان عن أصحابهما"[٣].

الثالث: أن الذي يوزن هو نفس الأشخاص العاملين.

وقيل الوزن والميزان بمعنى العدل والقضاء وذكرهما من باب ضرب المثل كما تقول هذا الكلام في وزن، هذا قاله مجاهد[٤].

---

(١) لسان العرب (١٣/ ٤٤٦).

(٢) سورة الأعراف، الآيتان: ٨، ٩.

(٣) أخرجه مسلم، كتاب صلاة المسافرين وقصرها، باب فضل قراءة القرآن، وسورة البقرة (١/ ٥٥٣) ح (٨٠٤).

(٤) انظر: تفسير الماوردي (النكت والعيون) (٢/ ٢٠١)، وتفسير القرطبي (٧/ ١٦٤)، وفتح البيان في مقاصد القرآن (٤/ ٣٠٤).

قال الزجاج: (وهذا كله في باب اللغة – والاحتجاج سائغ، إلا أن الأولى من هذا أن يتبع ما جاء بالأسانيد الصحاح. فإن جاء في الخبر أنه ميزان له كفتان، من حيث ينقل أهل الثقة، فينبغي أن يقبل ذلك) [١].

قال القشيري: وقد أحسن فيما قال، إذ لو حمل الميزان على هذا، فليحمل الصراط على الذين الحق، والجنة والنار على ما يرد على الأرواح دون الأجساد، والشياطين والجن على الأخلاق المذمومة، والملائكة على القوى المحمودة. وقد أجمعت الأمة في الصدر الأول على الأخذ بهذه الظواهر من غير تأويل. وإذا أجمعوا على منع التأويل وجب الأخذ بالظاهر، وصارت هذه الظواهر نصوصا[٢].

والأرجح هو القول الأول وهو الذي دلت عليه النصوص وأيدته الآثار الصحيحة عن النبي ﷺ ، ففي الحديث عن صفوان بن محرز قال: قال رجل لابن عمر: كيف سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم في النجوى؟ قال سمعته يقول: يدنى المؤمن يوم القيامة من ربه عز وجل، حتى يضع عليه كنفه، فيقرره بذنوبه، فيقول: هل تعرف؟ فيقول: أي رب أعرف، قال: فإني قد سترتها عليك في الدنيا، وإني أغفرها لك اليوم، فيعطى صحيفة حسناته، وأما الكفار والمنافقون، فينادى بهم على رءوس الخلائق هؤلاء الذين كذبوا على الله"[٣].

فقوله: (فيعطى صحيفة حسناته)؛ دليل على أن الأعمال تكتب في الصحف وتوزن[٤].

وفي سنن ابن ماجه عن عبد الله بن عمرو، يقول: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: " يصاح برجل من أمتي يوم القيامة على رءوس الخلائق، فينشر له

---

(١) انظر: معاني القرآن وإعرابه للزجاج (٢/ ٣١٩).

(٢) انظر: تفسير القرطبي (٧/ ١٦٥)، وفتح القدير للشوكاني (٢/ ٢١٦).

(٣) أخرجه مسلم، كتاب التوبة، باب قبول توبة القاتل وإن كثر قتله (٤/ ٢١٢٠) ح (٢٧٦٨).

(٤) انظر: تفسير القرطبي (٧/ ١٦٦).

تسعة وتسعون سجلا، كل سجل مد البصر، ثم يقول الله عز وجل: هل تنكر من هذا شيئا؟ فيقول: لا، يا رب، فيقول: أظلمتك كتبتي الحافظون؟ فيقول: لا، ثم يقول: ألك عذر، ألك حسنة؟ فيهاب الرجل، فيقول: لا، فيقول: بلى، إن لك عندنا حسنات، وإنه لا ظلم عليك اليوم، فتخرج له بطاقة فيها: أشهد أن لا إله إلا الله، وأن محمدا عبده ورسوله، قال: فيقول: يا رب ما هذه البطاقة، مع هذه السجلات؟ فيقول: إنك لا تظلم، فتوضع السجلات في كفة، والبطاقة في كفة، فطاشت السجلات، وثقلت البطاقة[(١)].

فقد تبين من هذا الحديث أن ثقل الميزان وخفته يرجعان إلى وزن ما كتب فيه الأعمال لا نفس الأعمال، وأن الله سبحانه يخفف الميزان إذا أراد، ويثقله إذا أراد بما يوضع في كفتيه من الصحف التي فيها الأعمال[(٢)].

وهذا القول هو ما ذهب إليه القرطبي ورجحه[(٣)]، وقال ابن الجوزي بعدما رجح هذا القول: (**فإن قيل:** أليس الله عز وجل يعلم مقادير الأعمال، فما الحكمة في وزنها؟

فالجواب: أن فيه خمس حكم: إحداها: امتحان الخلق بالإيمان بذلك في الدنيا. والثانية: إظهار علامة السعادة والشقاوة في الأخرى. والثالثة: تعريف العباد ما لهم من خير وشر. والرابعة: إقامة الحجة عليهم. والخامسة: الإعلام بأن الله

---

(١) أخرجه الترمذي، أبواب الإيمان، باب ما جاء فيمن يموت وهو يشهد أن لا إله إلا الله (٥/ ٢٤) ح (٢٦٣٩)، وقال: «هذا حديث حسن غريب»، وابن ماجه، كتاب الزهد، باب ما يرجى من رحمة الله يوم القيامة (٢/ ١٤٣٧) ح (٤٣٠٠)، والحاكم في المستدرك على الصحيحين (١/ ٧١٠) ح (١٩٣٧)، وقال: «هذا حديث صحيح الإسناد، ولم يخرجاه».

(٢) انظر: تفسير القرطبي (٧/ ١٦٥).

(٣) انظر: السابق (٧/ ١٦٦).

عادل لا يظلم. ونظير هذا أنه أثبت الأعمال في كتاب، واستنسخها من غير جواز النسيان عليه)[1].

ثم قال تعالى: ﴿فَمَنْ ثَقُلَتْ مَوَازِينُهُ فَأُولَئِكَ هُمُ الْمُفْلِحُونَ (٨) وَمَنْ خَفَّتْ مَوَازِينُهُ فَأُولَئِكَ الَّذِينَ خَسِرُوا أَنْفُسَهُمْ بِمَا كَانُوا بِآيَاتِنَا يَظْلِمُونَ (٩)﴾[2].

فبين سبحانه أن من تثقل كفة حسناته فإنه ينعم في الجنة، وأن من خفت كفة حسناته فمصيره إلى النار، وقد جاء الميزان هنا على صيغة الجمع ومثله في قوله تعالى: **﴿فَإِذَا نُفِخَ فِي الصُّورِ فَلَا أَنْسَابَ بَيْنَهُمْ يَوْمَئِذٍ وَلَا يَتَسَاءَلُونَ (١٠١) فَمَنْ ثَقُلَتْ مَوَازِينُهُ فَأُولَئِكَ هُمُ الْمُفْلِحُونَ (١٠٢) وَمَنْ خَفَّتْ مَوَازِينُهُ فَأُولَئِكَ الَّذِينَ خَسِرُوا أَنْفُسَهُمْ فِي جَهَنَّمَ خَالِدُونَ﴾ [المؤمنون: ١٠١ - ١٠٣]، ﴿وَنَضَعُ الْمَوَازِينَ الْقِسْطَ لِيَوْمِ الْقِيَامَةِ فَلَا تُظْلَمُ نَفْسٌ شَيْئًا وَإِنْ كَانَ مِثْقَالَ حَبَّةٍ مِنْ خَرْدَلٍ أَتَيْنَا بِهَا وَكَفَى بِنَا حَاسِبِينَ﴾[3].**

وفي معناه أيضا قوله تعالى: **﴿فَأَمَّا مَنْ ثَقُلَتْ مَوَازِينُهُ (٦) فَهُوَ فِي عِيشَةٍ رَاضِيَةٍ (٧) وَأَمَّا مَنْ خَفَّتْ مَوَازِينُهُ (٨) فَأُمُّهُ هَاوِيَةٌ (٩) وَمَا أَدْرَاكَ مَا هِيَهْ (١٠) نَارٌ حَامِيَةٌ (١١)﴾[4].**

قال الرازي: (واعلم أن في الموازين قولين: أنه جمع موزون وهو العمل الذي له وزن وخطر عند الله، وهذا قول الفراء[5]، قال: ونظيره يقال: عندي درهم بميزان درهمك ووزن درهمك، وداري بميزان دارك ووزن دارك، أي بحذائها، والثاني: أنه جمع ميزان قال ابن عباس: الميزان له لسان وكفتان لا يوزن فيه إلا الأعمال فيؤتى بحسنات المطيع في أحسن صورة، فإذا رجح فالجنة له ويؤتى بسيئات

(١) زاد المسير في علم التفسير (٢/ ١٠٤).
(٢) سورة الأعراف، الآيتان: ٨ – ٩.
(٣) سورة الأنبياء، الآية: ٤٧.
(٤) سورة القارعة، الآيات: ٦-١١.
(٥) انظر: معاني القرآن للفراء (٣/ ٢٨٧).

الكافر في أقبح صورة فيخف وزنه فيدخل النار. وقال الحسن: في الميزان له كفتان ولا يوصف)[١].

ويؤيد هذا التفسير حديث أبى بكر لعمر رضى الله عنهما في وصيته له: «وإنما ثقلت موازين من ثقلت موازينهم يوم القيامة باتباعهم الحق وثقلها في الدنيا، وحق لميزان لا توضع فيه إلا الحسنات أن يثقل، وإنما خفت موازين من خفت موازينه لاتباعهم الباطل وخفتها في الدنيا، وحق لميزان لا توضع فيه إلا السيئات أن يخف»[٢].

وقد قيل في توجيه الجمع وجهان:

الأول: أن العرب قد توقع لفظ الجمع على الواحد فيقولون: خرج فلان إلى مكة على البغال.

والثاني: أن المراد من الموازين هاهنا جمع موزون لا جمع ميزان وأراد بالموازين الأعمال الموزونة[٣].

والوجه الثاني ضعيف بقرينة وصف (القسط) الذي جاء صفة للميزان، والأعمال لا توصف بالقسط في هذا الموقف؛ لأن الله تعالى يزن كل الأعمال لا ما كان قسطا منها فقط بدليل آخر الآيات[٤].

وذهب الرازي إلى أن ذلك عدول عن ظاهر اللفظ بدون موجب لذلك وقال: (الأظهر إثبات موازين في يوم القيامة لا ميزان واحد، والدليل عليه قوله: ﴿وَنَضَعُ الْمَوَازِينَ الْقِسْطَ لِيَوْمِ الْقِيَامَةِ﴾[٥]، وقال في هذه الآية: فمن ثقلت موازينه، وعلى

(١) تفسير الرازي (٣٢/ ٢٦٧).

(٢) الزهد لأبي داود (ص: ٥٣).

(٣) انظر: تفسير الماوردي (٦/ ٣٢٩)، وتفسير الرازي (١٤/ ٢٠٣)، ونسبهما الرازي للزجاج، ولم أقف على ذلك في كتبه المتاحة.

(٤) انظر: تفسير الرازي (١٤/ ٢٠٣).

(٥) سورة الأنبياء، الآية: ٤٧.

هذا فلا يبعد أن يكون لأفعال القلوب ميزان، ولأفعال الجوارح ميزان، ولما يتعلق بالقول ميزان آخر)[١].

وقال ابن كثير: (وقوله: ﴿وَنَضَعُ الْمَوَازِينَ الْقِسْطَ لِيَوْمِ الْقِيَامَةِ فَلَا تُظْلَمُ نَفْسٌ شَيْئًا﴾[٢] أي: ونضع الموازين العدل ليوم القيامة. الأكثر على أنه إنما هو ميزان واحد، وإنما جمع باعتبار تعدد الأعمال الموزونة فيه)[٣].

وذهب ابن الجوزي إلى أن هذا التأويل يشهد له: أن (من) في معنى جميع فيكون المعنى فجميع من ثقلت أو خفت موازينهم؛ ولهذا قال في آية الأعراف (فأولئك) بصيغة الجمع فعلم أن الموازين تعددت بتعدد أصحاب الأعمال أنفسهم[٤].

وهذا ما اختاره الراغب فقال: (وذكر في مواضع الميزان بلفظ الواحد اعتبارا بالمحاسب، وفي مواضع بالجمع اعتبارا بالمحاسبين) [٥].

وهذا يصح لو كان النظم (موازينهم)، أما وقد قال تعالى (موازينه)، فإن هذا التأويل لا يصح.

وقال القنوجي: (والموازين جمع ميزان، وهو يدل على أن هناك موازين، وممكن أن يراد ميزان عبر عنه بلفظ الجمع للتعظيم أو باعتبار أجزائه، فإن الصحيح أنه ميزان واحد لجميع الأمم ولجميع الأعمال)[٦].

وقد وردت في بعض الآثار في صفة الميزان عن ابن عباس رضي الله عنه قال: توزن الحسنات والسيئات في ميزان له لسان وكفتان. فأما المؤمن فيؤتى بعمله في أحسن صورة، وتثقل حسناته على سيئاته. وأما الكافر فيؤتى بعمله في

(١) تفسير الرازي (١٤/ ٢٠٣).
(٢) سورة الأنبياء، الآية: ٤٧.
(٣) تفسير ابن كثير (٥/ ٣٤٥).
(٤) انظر: معاني القرآن للفراء (١/ ٣٧٣)، وزاد المسير في علم التفسير (٢/ ١٠٢).
(٥) المفردات في غريب القرآن (ص: ٨٦٨).
(٦) فتح البيان في مقاصد القرآن (٨/ ٣٣٣).

أقبح صورة، وتثقل سيئاته على حسناته[١]. وذكر الميزان عند الحسن: للميزان لسان وكفتان[٢].

وقيل: إن داود عليه السلام سأل ربه أن يريه الميزان، فأراه إياه، فقال: يا إلهي، من يقدر أن يملأ كفتيه حسنات؟ فقال: يا داود، إني إذا رضيت عن عبدي، ملأتها بتمرة[٣].

وقال حذيفة: جبريل صاحب الميزان يوم القيامة يقول له ربه: زن بينهم، ورد من بعضهم على بعض ما وجد له من حسنة. فإن لم تكن له حسنة، أخذ من سيئات المظلوم، فرد على سيئات فيرد على المظلوم من الظالم الظالم، فيرجع وعليه مثل الجبل[٤].

والخلاصة: أن الأعمال تكتب في صحائف وتوزن على العباد يوم في القيامة في ميزان الله تعالى أعلم بحقيقته وكيفيته، فتوضع حسنات العبد في كفة وتوضع سيئاته في كفة، فإذا رجحت كفت الحسنات فالعبد إلى الجنة، وإذا خفت هذه الكفة فرجحت السيئات فالعبد إلى النار إن كان كافرا فيخلد فيها، وهو في مشيئة الله إن كان مؤمنا عاصيا، أعاذنا الله من عذاب النار ومشهدها. ولن يدخل الجنة أحد بعمله فقد جاء في حديث أبي هريرة ﷺ أن رسول الله ﷺ قال: «لن يدخل أحدا عمله الجنة» قالوا: ولا أنت يا رسول الله؟ قال: " لا، ولا أنا، إلا أن يتغمدني الله بفضل ورحمة، فسددوا وقاربوا، ولا يتمنين أحدكم الموت: إما محسنا فلعله أن يزداد خيرا، وإما مسيئا فلعله أن يستعتب"[٥]، وعن عائشة، عن النبي ﷺ قال: «سددوا وقاربوا وأبشروا، فإنه لا يدخل أحدا الجنة عمله» قالوا: ولا أنت يا رسول الله؟ قال: «ولا أنا، إلا أن يتغمدني الله بمغفرة ورحمة»[٦].

(١) شعب الإيمان (١/ ٤٤٧)
(٢) شرح أصول اعتقاد أهل السنة والجماعة (٦/ ١٢٤٥).
(٣) زاد المسير في علم التفسير (٢/ ١٠٣).
(٤) أخرجه الواحدي في التفسير الوسيط (٣/ ٢٤٠).
(٥) أخرجه البخاري، كتاب المرضى، باب تمني المريض الموت (٥٦٧٣) (٧/ ١٢١).
(٦) أخرجه البخاري، كتاب الرقاق، باب القصد والمداومة على العمل (٦٤٦٧) (٨/ ٩٨).

المبحث السادس

إشهاد الجوارح

كما اقتضت حكمة الله تعالى أن يكتب أعمال العباد عليهم حتى يذكرهم بها، ويحاسبهم عليها بلا زيادة ولا نقصان، فإن عدله اقتضى أن يجعل على بني آدم في الآخرة شهودا يثبتون عليهم التهمة إذا أنكروا أو جحدوا ما ينبئهم الله تعالى به أو نسوه، فإن بعض الناس يوم القيامة ينكر ما يحاسبه الله عليه، فيجعل الله تعالى له من جوارحه ما يشهد عليه، فيكون هو الشاهد على نفسه وليس أبلغ من ذلك في الشهادة.

وقد ورد في هذا المعنى حديثُ أبي هريرة رضي الله تعالى عنه عن رسول الله ﷺ في ما يرويه عن ربه، قال: فيلقى العبد، فيقول: ألم أكرمك، وأسودك، وأزوجك، وأسخر لك الخيل والإبل، وأذرك ترأس وتربع؟ فيقول: بلى، قال: فيقول: أفظننت أنك ملاقي؟ فيقول: لا، فيقول: فإني أنساك كما نسيتني.

ثم يلقى الثاني فيقول: أي فل ألم أكرمك، وأسودك، وأزوجك، وأسخر لك الخيل والإبل، وأذرك ترأس، وتربع؟ فيقول: بلى، أي رب، فيقول: أفظننت أنك ملاقي؟ فيقول: لا، فيقول: فإني أنساك كما نسيتني.

ثم يلقى الثالث، فيقول له مثل ذلك، فيقول: يا رب آمنت بك، وبكتابك، وبرسلك، وصليت، وصمت، وتصدقت، ويثني بخير ما استطاع، فيقول: هاهنا إذا، قال: ثم يقال له: الآن نبعث شاهدنا عليك، ويتفكر في نفسه: من ذا الذي يشهد علي؟ فيختم على فيه، ويقال لفخذه ولحمه وعظامه: انطقي، فتنطق فخذه ولحمه وعظامه بعمله، وذلك ليعذر من نفسه، وذلك المنافق وذلك الذي يسخط الله عليه"[١].

---

(١) أخرجه مسلم، كتاب الزهد والرقائق (٤/ ٢٢٧٩) ح (٢٩٦٨).

وفي رواية أنس بن مالك، يقول: يا رب ألم تجرني من الظلم؟ قال: يقول: بلى، قال: فيقول: فإني لا أجيز على نفسي إلا شاهدا مني، قال: فيقول: كفى بنفسك اليوم عليك شهيدا، وبالكرام الكاتبين شهودا، قال: فيختم على فيه، فيقال لأركانه: انطقي، قال: فتنطق بأعماله، قال: ثم يخلى بينه وبين الكلام، قال فيقول: بعدا لكن وسحقا، فعنكن كنت أناضل"[١].

قال التوربشتي رحمه الله: (ليعذر على بناء الفاعل من الإعذار، والمعنى: ليزيل الله عذره من قبل نفسه بكثرة ذنوبه وشهادة أعضائه عليه؛ بحيث لم يبق له عذر يتمسك به)[٢].

وقال القرطبي: (المعنى أبلغ في الحجة؛ فإنه يقع تكذيبه من جوارحه، وتلك غاية الخزي) [٣].

ففي هذا الحديث إشارة إلى قيام الحجة بشهادة أركان العبد عليه يوم القيامة، ولذلك يخاصمها ويلومها في ذلك ويقول: (فعنكن كنت أناضل)؛ أي: أدافع وأجادل وأخاصم وأنتن تشهدن علي بعملي، يقول: أريد أن أدفع عنكن النار وأنتن تشهدن علي باستحقاق النار[٤].

وقد وردت آيات كثيرة في إشهاد جوارح العبد عليه منها ما هو مجمل ومنها ما هو مبين، فمن النوع الأول: قوله تعالى: ﴿بَلِ الْإِنْسَانُ عَلَى نَفْسِهِ بَصِيرَةٌ﴾[٥]، والذي يتظاهر على أن العبد يكون شاهدا على نفسه يوم القيامة.

---

(١) أخرجه مسلم، كتاب الزهد والرقائق (٤/ ٢٢٨٠) ح (٢٩٦٩).

(٢) مرقاة المفاتيح شرح مشكاة المصابيح (٨/ ٣٥٢٩).

(٣) تفسير القرطبي (١٠/ ٢٦٠).

(٤) انظر: إكمال المعلم بفوائد مسلم (٨/ ٥٢٢)، والكوكب الوهاج شرح صحيح مسلم (٢٦/ ٣٦٧).

(٥) سورة القيامة، الآية: ١٤.

قال الطبري: (يقول تعالى ذكره: بل للإنسان على نفسه من نفسه رقباء يرقبونه بعمله، ويشهدون عليه به ... حدثني علي، قال: ثنا أبو صالح، قال: ثني معاوية، عن علي، عن ابن عباس، قوله: (بل الإنسان على نفسه بصيرة) يقول: سمعه وبصره ويداه ورجلاه وجوارحه)[١].

وتحتمل هذه الآية معنى آخر هو: وقال الطبري: (وقال آخرون: بل معنى ذلك: بل الإنسان شاهد على نفسه وحده، ومن قال هذا القول جعل البصيرة خبرا للإنسان، ورفع الإنسان بها. وأسند ذلك إلى ابن عباس وقتادة وابن زيد، ثم قال: (ومن قال هذه المقالة يقول: أدخلت الهاء في قوله (بصيرة) وهي خبر للإنسان، كما يقال للرجل: أنت حجة على نفسك، وهذا قول بعض نحويي البصرة. وكان بعضهم يقول: أدخلت هذه الهاء في بصيرة وهي صفة للذكر، كما أدخلت في راوية وعلامة)[٢].

والحاصل أنها تدل على أن الإنسان شاهد على نفسه في الآخرة، فتكون هذه الآية مجملة، وتكون الآيات الأخرى مفسرة لها، وذلك:

النوع الثاني: ورد في شهادة جوارح الإنسان عليه آيات صريحة كما في قوله تعالى: ﴿يَوْمَ تَشْهَدُ عَلَيْهِمْ أَلْسِنَتُهُمْ وَأَيْدِيهِمْ وَأَرْجُلُهُمْ بِمَا كَانُوا يَعْمَلُونَ﴾[٣].

وهذه الشهادة خاصة بالكفار الذين ينكرون أفعالهم ويجحدونها، وقد ذكر الله تعالى أن المنافقين يأتون يوم القيامة فيحلفون كذبا أنهم لم يشركوا كما كانوا يحلفون كذبا في الدنيا {اتَّخَذُوا أَيْمَانَهُمْ جُنَّةً فَصَدُّوا عَنْ سَبِيلِ اللَّهِ فَلَهُمْ عَذَابٌ مُهِينٌ (١٦) لَنْ تُغْنِيَ عَنْهُمْ أَمْوَالُهُمْ وَلَا أَوْلَادُهُمْ مِنَ اللَّهِ شَيْئًا أُولَئِكَ أَصْحَابُ النَّارِ

---

(١) تفسير الطبري = جامع البيان ت شاكر (٢٤/ ٦٢).

(٢) تفسير الطبري (٢٤/ ٦٣).

(٣) سورة النور، الآية: ٢٤.

هُمْ فِيهَا خَالِدُونَ (١٧) يَوْمَ يَبْعَثُهُمُ اللَّهُ جَمِيعًا فَيَحْلِفُونَ لَهُ كَمَا يَحْلِفُونَ لَكُمْ وَيَحْسَبُونَ أَنَّهُمْ عَلَى شَيْءٍ أَلَا إِنَّهُمْ هُمُ الْكَاذِبُونَ} [المجادلة: ١٦ – ١٨]

قال الماتريدي: (تشهد هذه الجوارح على الكافر لإنكاره باللسان، وأما المؤمن فإنه مقر بذلك كله لا يحتاج إلى أن تشهد عليه الجوارح ... كأنهم ينكرون ذلك في الآخرة كما أنكروا في الدنيا كقوله: ﴿يَوْمَ يَبْعَثُهُمُ اللَّهُ جَمِيعًا فَيَحْلِفُونَ لَهُ﴾، أخبر أنهم يحلفون لله في الآخرة كما كانوا يحلفون لرسول الله في الدنيا)(١).

وقد نزلت هذه الآية في شأن المنافقين ﴿الَّذِينَ يَرْمُونَ الْمُحْصَنَاتِ﴾، وتذكر أنهم مسؤولون يوم القيامة عما قاموا به من جرم، وأنه ستشهد عليهم ﴿أَلْسِنَتُهُمْ وَأَيْدِيهِمْ وَأَرْجُلُهُمْ﴾ يوم القيامة بما عملوا في الدنيا من قول أو فعل، وأن الله سبحانه ينطقها فتشهد هذه عليهم بذنوبهم التي اقترفوها ومعاصيهم التي عملوها، وهذا واضح في حالة الأيدي والأرجل فإن الله تعالى يخلق فيها النطق فتنطق(٢).

أما الألسن فقد ورد فيها تأويلان عن المفسرين:

الأول: أن لسان كل كافر يشهد عليه بما فعل في الدنيا وهذا في حالة الكافر المقر.

قال الشهاب: (قوله تعالى: ﴿الْيَوْمَ نَخْتِمُ﴾ الخ)، قد وفق بينه وبين قوله ﴿يَوْمَ تَشْهَدُ عَلَيْهِمْ أَلْسِنَتُهُمْ وَأَيْدِيهِمْ وَأَرْجُلُهُمْ﴾ بأنّ منهم من يعترف فتشهد عليهم الألسنة، ومنهم من ينكر لقوله: ﴿وَاللهِ رَبِّنَا مَا كُنَّا مُشْرِكِينَ﴾(٣))(٤).

الثاني: أن ألسن بعضهم تشهد على بعضهم فهم يشهدون على بعضهم البعض.

(١) تفسير الماتريدي (٧/ ٥٣٧).

(٢) انظر: فتح البيان في مقاصد القرآن (٩/ ١٩٢).

(٣) سورة الأنعام، الآية: ٢٣.

(٤) انظر: حاشيه الشهاب علي تفسير البيضاوي =عنايه القاضي وكفاية الراضي (٧/ ٢٤٨).

قال الطبري: (حين يجحد أحدهم ما اكتسب في الدنيا من الذنوب، عند تقرير الله إياه بها فيختم الله على أفواههم، وتشهد عليهم أيديهم وأرجلهم بما كانوا يعملون. فإن قال قائل: وكيف تشهد عليهم ألسنتهم حين يختم على أفواههم؟ قيل: عني بذلك أن ألسنة بعضهم تشهد على بعض، لا أن ألسنتهم تنطق وقد ختم على الأفواه)، ثم روى بسنده إلى أبي سعيد، عن رسول الله صلى الله عليه وسلم: "إذا كان يوم القيامة عرف الكافر بعمله، فجحد وخاصم، فيقال له: هؤلاء جيرانك يشهدون عليك، فيقول: كذبوا، فيقول: أهلك وعشيرتك، فيقول: كذبوا، فيقول: أتحلفون؟ فيحلفون، ثم يصمتهم الله، وتشهد ألسنتهم ثم يدخلهم النار)[1].

وقال تعالى: ﴿**الْيَوْمَ نَخْتِمُ عَلَى أَفْوَاهِهِمْ وَتُكَلِّمُنَا أَيْدِيهِمْ وَتَشْهَدُ أَرْجُلُهُمْ بِمَا كَانُوا يَكْسِبُونَ**﴾[2].

وهذه الآية أيضا تثبت شهادة الأيدي والأرجل على صاحبها يوم القيامة، فقد ذكر المفسرون أن الله تعالى يحشر المشركين يوم القيامة، وعندما يسألهم عن شركهم ينكرون الشرك وتكذيب الرسل، كما في قولهم: ﴿وَاللَّهِ رَبِّنَا مَا كُنَّا مُشْرِكِينَ﴾[3]. فيختم الله على أفواههم ختماً لا يقدرون معه على الكلام، فتتكلم أيديهم بما كانوا يفعلونه وتشهد أرجلهم عليهم بما كانوا يعملون، وفي هذه الشهادة تأكيد للذنب؛ لأن شهادة غير الناطق أبلغ في الحجة من شهادة الناطق لخروجه مخرج الإعجاز[4].

---

(١) تفسير الطبري (١٩/ ١٤٠)، والحديث رواه الحاكم المستدرك على الصحيحين (٤/ ٦٤٨) ح (٨٧٩٠)، وقال: (هذا حديث صحيح الإسناد ولم يخرجاه)، وعقب عليه الذهبي بقوله: (على شرط مسلم).

(٢) سورة يس، الآية: ٦٥.

(٣) سورة الأنعام، الآية: ٢٣.

(٤) انظر: فتح البيان في مقاصد القرآن (١١/ ٣١٣).

قال الشوكاني: (وجعل ما تنطق به الأيدي كلاما وإقرارا؛ لأنها كانت المباشرة لغالب المعاصي، وجعل نطق الأرجل شهادة؛ لأنها حاضرة عند كل معصية، وكلام الفاعل إقرار، وكلام الحاضر شهادة، وهذا اعتبار بالغالب، وإلا فالأرجل قد تكون مباشرة للمعصية كما تكون الأيدي مباشرة لها) (١).

وقال تعالى: ﴿وَيَوْمَ يُحْشَرُ أَعْدَاءُ اللَّهِ إِلَى النَّارِ فَهُمْ يُوزَعُونَ (١٩) حَتَّى إِذَا مَا جَاءُوهَا شَهِدَ عَلَيْهِمْ سَمْعُهُمْ وَأَبْصَارُهُمْ وَجُلُودُهُمْ بِمَا كَانُوا يَعْمَلُونَ (٢٠) وَقَالُوا لِجُلُودِهِمْ لِمَ شَهِدْتُمْ عَلَيْنَا قَالُوا أَنْطَقَنَا اللَّهُ الَّذِي أَنْطَقَ كُلَّ شَيْءٍ وَهُوَ خَلَقَكُمْ أَوَّلَ مَرَّةٍ وَإِلَيْهِ تُرْجَعُونَ﴾(٢).

وهذه الآية تثبت شهادة للسمع والبصر والجلود على صاحبها يوم القيامة، فتصف حالا من أحوال الكفار في بعض أوقات القيامة، وذلك عند وصولهم إلى جهنم، فإن الله تعالى يسألهم سؤال توبيخ عن كفرهم فينكرون ذلك، ويحسبون أنه لا شاهد عليهم، ويظنون السؤال سؤال استفهام واستخبار، فينطق الله تعالى هذه الجوارح جوارحهم بالشهادة عليهم(٣).

وبالنظر إلى ما ذكر في هذه الآية يظهر أنها تعرضت لثلاث حواس من الإنسان وهي السمع والبصر واللمس، وأهملت ذكر نوعين وهما الذوق والشم، وقد ذكر بعض المفسرين في وجه تخصيصها: أن الذوق داخل في اللمس من بعض الوجوه؛ لأن إدراك الذوق إنما يتأتى بأن تصير جلدة اللسان مماسة لجرم الطعام، وكذلك الشم لا يتأتى حتى تصير جلدة الحنك مماسة لجرم المشموم، فكانا داخلين في جنس اللمس. ويفهم من معرفة وجه تخصيص الثلاثة بالذكر وجهُ تخصيص الجلود بالسؤال؛ لأنها قد اشتملت على ثلاث حواس، فكان تأتي المعصية من

---

(١) فتح القدير للشوكاني (٤/ ٤٣٤).

(٢) سورة فصلت، الآية: ١٩، ٢١.

(٣) انظر: تفسير ابن عطية = المحرر الوجيز في تفسير الكتاب العزيز (٥/ ١٠).

جهتها أكثر، وأما على قول من فسر الجلود بالفروج فوجه تخصيصها بالسؤال ظاهر وهو: أن ما يشهد به الفرج من الزنا أعظم قبحا، وأجلب للخزي، والعقوبة[1].

كيفية شهادة الأعضاء على صاحبها:

اختلف المفسرون في كيفية شهادة هذه الأعضاء على صاحبها على قولين:

الأول: أن الله تعالى يخلق الفهم والقدرة والنطق فيها فتشهد كما يشهد الرجل على ما يعرفه. أو يخلق الله تعالى في تلك الأعضاء الأصوات والحروف الدالة على تلك المعاني.

الثاني: أن يظهر في تلك الأعضاء أحوالا تدل على صدور تلك الأعمال من ذلك الإنسان، وتلك الأمارات تسمى شهادات، كما يقال: العالم يشهد بتغيرات أحواله على حدوثه[2].

والأول هو الأرجح إذ هو الظاهر من لفظ الشهادة والتي هي حقيقة في النطق.

قال الزمخشري: (فإن قلت: كيف تشهد عليهم أعضاؤهم وكيف تنطق؟ قلت: الله عز وجل ينطقها كما أنطق الشجرة بأن يخلق فيها كلاما. وقيل، المراد بالجلود: الجوارح. وقيل: هي كناية عن الفروج، أراد بكل شيء: كل شيء من الحيوان، كما أراد به في قوله تعالى والله على كل شيء قدير كل شيء من المقدورات، والمعنى: أن نطقنا ليس بعجب من قدرة الله الذي قدر على إنطاق كل حيوان، وعلى خلقكم وإنشائكم أول مرة، وعلى إعادتكم ورجعكم إلى جزائه- وإنما

(١) انظر: تفسير الرازي (٢٧/ ٥٥٦)، وفتح القدير للشوكاني (٤/ ٥٨٧).

(٢) انظر: تفسير البيضاوي (٥/ ٦٩)، وفتح البيان في مقاصد القرآن (١٢/ ٢٣٩).

قالوا لهم: لم شهدتم علينا لما تعاظمهم من شهادتها وكبر عليهم من الافتضاح على ألسنة جوارحهم)[1].

قال الكرخي: (ينطقها الله تعالى كإنطاق اللسان فتشهد. وليس نطقها بأغرب من نطق اللسان عقلاً، وإيضاحه أن البنية ليست شرطاً للحياة والعلم والقدرة، فالله تعالى قادر على خلق العقل والقدرة والنطق في كل جزء من أجزاء هذه الأعضاء)[2].

والحاصل: أن الكافر والمشرك إذ يجحد ما كتبه عليه الملائكة الموكلون بكتابة الأعمال فإن الله تعالى يشخِصُ لهم شهداء من أنفسهم يشهدون عليهم، ويثبتون عليهم التهمة، فلا يجد أحدهم بعد ذلك سبيلا إلى الجحود والإنكار، لا سيما والمولى تبارك وتعالى يختم على أفواههم فلا يستطيعون الكلام.

وشهادة الجوارح هي الشهادة الخاصة التي تقع على المشرك والمنافق، وليست هي الشهادة الوحيدة التي تحصل يوم القيامة، وقد دل على ذلك قوله تعالى: ﴿وَمَنْ أَظْلَمُ مِمَّنِ افْتَرَى عَلَى اللَّهِ كَذِبًا أُولَئِكَ يُعْرَضُونَ عَلَى رَبِّهِمْ وَيَقُولُ الْأَشْهَادُ هَؤُلَاءِ الَّذِينَ كَذَبُوا عَلَى رَبِّهِمْ أَلَا لَعْنَةُ اللَّهِ عَلَى الظَّالِمِينَ﴾[3].

قال الرازي: **الأشهاد أربعة:**

أولها: الملائكة الموكلون بإثبات أعمال العباد؛ قال تعالى: ﴿وَجَاءَتْ كُلُّ نَفْسٍ مَعَهَا سَائِقٌ وَشَهِيدٌ﴾[4]، وقال: ﴿مَا يَلْفِظُ مِنْ قَوْلٍ إِلَّا لَدَيْهِ رَقِيبٌ عَتِيدٌ﴾[5]، وقال: ﴿وَإِنَّ عَلَيْكُمْ لَحَافِظِينَ (١٠) كِرَامًا كَاتِبِينَ (١١) يَعْلَمُونَ مَا تَفْعَلُونَ﴾[6].

---

(١) تفسير الزمخشري (٤/ ١٩٥).
(٢) انظر: الفتوحات الإلهية، سليمان الجمل (١٧/١).
(٣) سورة هود، الآية: ١٨.
(٤) سورة ق، الآية: ٢١.
(٥) سورة ق، الآية: ٨١.
(٦) سورة الانفطار، الآية: ١٠ – ١٢.

وثانيها: شهادة الأنبياء وهو المراد بقوله حاكيا عن عيسى عليه السلام: ﴿وَكُنْتُ عَلَيْهِمْ شَهِيدًا مَا دُمْتُ فِيهِمْ فَلَمَّا تَوَفَّيْتَنِي كُنْتَ أَنْتَ الرَّقِيبَ عَلَيْهِمْ وَأَنْتَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ شَهِيدٌ﴾(١). وقال في حق محمد صلى الله عليه وسلم وأمته في هذه الآية: ﴿وَكَذَلِكَ جَعَلْنَاكُمْ أُمَّةً وَسَطًا لِتَكُونُوا شُهَدَاءَ عَلَى النَّاسِ وَيَكُونَ الرَّسُولُ عَلَيْكُمْ شَهِيدًا﴾(٢).

وثالثها: شهادة أمة محمد خاصة، قال تعالى: ﴿وَجِيءَ بِالنَّبِيِّينَ وَالشُّهَدَاءِ﴾(٣). وقال تعالى: ﴿وَيَوْمَ يَقُومُ الْأَشْهَادُ﴾(٤).

ورابعها: شهادة الجوارح وهي بمنزلة الإقرار بل أعجب منه قال تعالى: ﴿يَوْمَ تَشْهَدُ عَلَيْهِمْ أَلْسِنَتُهُمْ﴾(٥)، الآية، وقال: ﴿الْيَوْمَ نَخْتِمُ عَلَى أَفْوَاهِهِمْ﴾(٦) الآية)(٧).

**

(١) سورة المائدة، الآية: ١١٧.

(٢) سورة البقرة، الآية: ١٤٣.

(٣) سورة الزمر، الآية: ٦٩.

(٤) سورة غافر، الآية: ٥١.

(٥) سورة النور، الآية: ٢٤.

(٦) تفسير يس، الآية: ٦٥.

(٧) تفسير الرازي (٤/ ٨٧).

المبحث السابع

أهل اليمين وأهل الشمال

أشار القرآن الكريم أن من الناس يوم القيامة من يؤتى كتابه بيمينه ومن يؤتى كتابه من وراء ظهره، فأما الأولون فهم أهل اليمين وهؤلاء يأخذون كتابهم بأيمانهم ويفرق بينهم وبين أهل النار فيقفون ذات اليمين.

قال ابن كثير: (قوم عن يمين العرش، وهم الذين خرجوا من شق آدم الأيمن، ويؤتون كتبهم بأيمانهم، ويؤخذ بهم ذات اليمين. قال السدي: وهم جمهور أهل الجنة) [١].

وأما الآخرون فهم أهل الشمال فهؤلاء يقادون إلى ذات الشمال ويأخذون كتبهم بشمائلهم ويساق بهم إلى النار أعاذنا الله منها.

وهؤلاء قال فيهم ابن كثير: (وآخرون عن يسار العرش، وهم الذين خرجوا من شق آدم الأيسر، ويؤتون كتبهم بشمائلهم، ويؤخذ بهم ذات الشمال، وهم عامة أهل النار –عياذا بالله من صنيعهم)[٢].

وقد فصل القرآن الكريم في أوصاف القسمين، وأفاض في ذكر مصير كل منهم في كثير من الآيات، وسوف أتناول هذه الآيات وأبين من خلالها أوصاف كل طائفة ومصيرها وسبب ما هي فيه من نعيم أو شقاء.

قال تعالى: ﴿يَوْمَ نَدْعُو كُلَّ أُنَاسٍ بِإِمَامِهِمْ فَمَنْ أُوتِيَ كِتَابَهُ بِيَمِينِهِ فَأُولَئِكَ يَقْرَءُونَ كِتَابَهُمْ وَلَا يُظْلَمُونَ فَتِيلًا (٧١) وَمَنْ كَانَ فِي هَذِهِ أَعْمَى فَهُوَ فِي الْآخِرَةِ أَعْمَى وَأَضَلُّ سَبِيلًا﴾[٣].

---

(١) تفسير ابن كثير (٧/ ٥١٥).

(٢) السابق (٧/ ٥١٥).

(٣) سورة الإسراء، الآية: ٧١، ٧٢.

تتحدث الآيات الكريمة عن مصير الخلق يوم القيامة فكلهم يدعى بإمامهم وقد ذكر المفسرون فيه ثلاثة وجوه:

أحدها: يوم ندعو إمام كل أناس: كان إمامهم في خير أو شر فيجزى له جزاؤه، ثم يكلف هو دعاء أتباعه إلى ما أعد لهم من الثواب والعقاب.

والثاني: يدعى كل إمام ورئيس في خير أو شر بأتباعه الذين يتبعونه فيما يدعوهم إليه نحو كل رسول يدعى بقومه الذين اتبعوه، وكل رئيس وشيطان استتبعهم.

والثالث: (بإمامهم): كتابهم الذي كتب لأعمالهم الذي كتبوا؛ كقوله: ﴿وَنُخْرِجُ لَهُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ كِتَابًا يَلْقَاهُ مَنْشُورًا﴾[1]، ونحوه[2].

وعندما يدعى كل أناس بإمامهم ينقسم الخلق إلى قسمين؛ أهل اليمين وأهل الشمال في الآخرة، (فمن أوتي كتابه بيمينه) من أولئك المدعوين وهم السعداء فالجزاء أن (أولئك) بصيعة الجمع إما لأنهم مجتمعون على شأن جليل، أو الإشعار بأن قراءتهم لكتبهم تكون على وجه الاجتماع لا على وجه الانفراد (يقرأون كتابه ولا يظلمون فتيلاً) أي: لا ينقصون من أجورهم شيئا، وأما القسم الثاني وهم أهل الشمال ولم يصرح بهم ولكن ذكروا بحالهم وهم: (من كان) من المدعوين (في هذه) الدنيا (أعمى) فجزاؤه أنه في الآخرة أعمى[3].

ولعل العدول عن ذكره بذلك العنوان مع أنه الذي يستدعيه حسن المقابلة حسبما هو الواقع في سورة الحاقة وسورة الانشقاق: للإيذان بالعلة الموجبة له؛ كما في قوله تعالى: ﴿وَأَمَّا إِنْ كَانَ مِنْ أَصْحَابِ الْيَمِينِ (٩٠) فَسَلَامٌ لَكَ مِنْ أَصْحَابِ

(١) سورة الإسراء، الآية: ١٣.

(٢) تفسير الماتريدي (٧/ ٨٩).

(٣) انظر: فتح البيان في مقاصد القرآن (٧/ ٤٢٩).

الْيَمِينِ (٩١) وَأَمَّا إِنْ كَانَ مِنَ الْمُكَذِّبِينَ الضَّالِّينَ (٩٢) فَنُزُلٌ مِنْ حَمِيمٍ (٩٣) وَتَصْلِيَةُ جَحِيمٍ﴾[١].

فجاء سبحانه وتعالى بوصف أهل الشمال وهو التكذيب في مقابل التصريح بأهل اليمين، وإنما وصفهم بأفعالهم زجرا عنها وإشعارا بما أوجب لهم ما أوعدهم به[٢].

والضلال في هذه الآية بمعنى العمى في آية الإسراء، قال الرازي: (المراد من الضالين هاهنا هم الذين صدر منهم الإصرار على الحنث العظيم، فضلوا في سبيل الله ولم يصلوا إليه ولم يوحِّدوه، وذلك ضلال عظيم، ثم كذبوا رسله، وقالوا: ﴿أإذا متنا﴾ فكذبوا بالحشر، فقال: أيها الضالون الذين أشركتم: المكذبون الذين أنكرتم الحشر لتأكلون ما تكرهون)[٣].

وقال الطبري في معنى العمى في آية الإسراء: (معنى ذلك: ومن كان في هذه الدنيا أعمى عن حجج الله على أنه المنفرد بخلقها وتدبيرها، وتصريف ما فيها، فهو في أمر الآخرة التي لم يرها ولم يعاينها، وفيما هو كائن فيها أعمى وأضل سبيلا، يقول: وأضل طريقا منه في أمر الدنيا التي قد عاينها ورآها)[٤].

وقد ذكر الزمخشري وجها آخر في عدم ذكر قراءة أهل الشمال لكتابهم، فقال: (فإن قلت: لم خص أصحاب اليمين بقراءة كتابهم؟ كأن أصحاب الشمال لا يقرؤون كتابهم.

قلت: بلى، ولكن إذا اطلعوا على ما في كتابهم، أخذهم ما يأخذ المطالب بالنداء على جناياته، والاعتراف بمساويه، أمام التنكيل به والانتقام منه، من الحياء والخجل والانخزال، وحبسة اللسان، والتتعتع، والعجز عن إقامة حروف

---

(١) سورة الواقعة، الآيات: ٩٠ – ٩٤.

(٢) انظر: تفسير البيضاوي (٥/ ١٨٤).

(٣) تفسير الرازي (٢٩/ ٤١٤).

(٤) تفسير الطبري (١٧/ ٥٠٥).

الكلام، والذهاب عن تسوية القول، فكأن قراءتهم كلا قراءة. وأما أصحاب اليمين فأمرهم على عكس ذلك، لا جرم أنهم يقرؤون كتابهم أحسن قراءة وأبينها، ولا يقنعون بقراءتهم وحدهم حتى يقول القارئ لأهل المحشر: هاؤم اقرؤوا كتابيه)[1].

وقد جاء ذكر أهل الشمال مقابل أهل اليمين في آية أخرى هي قوله تعالى: ﴿فَأَصْحَابُ الْمَيْمَنَةِ مَا أَصْحَابُ الْمَيْمَنَةِ (٨) وَأَصْحَابُ الْمَشْأَمَةِ مَا أَصْحَابُ الْمَشْأَمَةِ﴾[2].

وجاء ذكرهم بأصحاب المشأمة؛ لشؤم الحال الذي يكونون فيه[3]، أو كناية عن يدهم اليسرى؛ ولهذا سمي الشام بالشام؛ لكونه عن يسار الكعبة في حين سمي اليمن بذلك؛ لكونه عن يمين الكعبة[4]، قال الطبري: (فأصحاب الميمنة ما أصحاب الميمنة) يعجب نبيه محمد منهم، وقال: (ما أصحاب اليمين) الذين يؤخذ بهم ذات اليمين إلى الجنة، أيُّ شيء أصحاب اليمين، (وأصحاب المشأمة ما أصحاب المشأمة) يقول تعالى ذكره: وأصحاب الشمال الذين يؤخذ بهم ذات الشمال إلى النار، والعرب تسمي اليد اليسرى: الشؤمي)[5].

ثم قال تعالى: ﴿وَأَصْحَابُ الْيَمِينِ مَا أَصْحَابُ الْيَمِينِ (٢٧) فِي سِدْرٍ مَخْضُودٍ (٢٨) وَطَلْحٍ مَنْضُودٍ (٢٩) وَظِلٍّ مَمْدُودٍ (٣٠) وَمَاءٍ مَسْكُوبٍ (٣١) وَفَاكِهَةٍ كَثِيرَةٍ (٣٢) لَا مَقْطُوعَةٍ وَلَا مَمْنُوعَةٍ (٣٣) وَفُرُشٍ مَرْفُوعَةٍ (٣٤) إِنَّا أَنْشَأْنَاهُنَّ إِنْشَاءً (٣٥) فَجَعَلْنَاهُنَّ أَبْكَارًا (٣٦) عُرُبًا أَتْرَابًا (٣٧) لِأَصْحَابِ الْيَمِينِ (٣٨) ثُلَّةٌ مِنَ الْأَوَّلِينَ (٣٩) وَثُلَّةٌ مِنَ الْآخِرِينَ (٤٠) وَأَصْحَابُ الشِّمَالِ مَا أَصْحَابُ الشِّمَالِ (٤١) فِي سَمُومٍ وَحَمِيمٍ (٤٢) وَظِلٍّ مِنْ يَحْمُومٍ (٤٣) لَا بَارِدٍ وَلَا

(١) تفسير الزمخشري (٢/ ٦٨٢).

(٢) سورة الواقعة، الآية: ٨، ٩.

(٣) انظر: تفسير الماوردي (٥/ ٤٤٨)، تفسير البغوي (٥/ ٦).

(٤) انظر: تفسير البغوي (٥/ ٦).

(٥) تفسير الطبري (١٧/ ٥٠٥).

كَرِيمٍ (٤٤) إِنَّهُمْ كَانُوا قَبْلَ ذَلِكَ مُتْرَفِينَ (٤٥) وَكَانُوا يُصِرُّونَ عَلَى الْحِنْثِ الْعَظِيمِ (٤٦) وَكَانُوا يَقُولُونَ أَئِذَا مِتْنَا وَكُنَّا تُرَابًا وَعِظَامًا أَإِنَّا لَمَبْعُوثُونَ (٤٧) أَوَآبَاؤُنَا الْأَوَّلُونَ (٤٨) قُلْ إِنَّ الْأَوَّلِينَ وَالْآخِرِينَ (٤٩) لَمَجْمُوعُونَ إِلَى مِيقَاتِ يَوْمٍ مَعْلُومٍ (٥٠)﴾[١].

وفي هذه الآيات يتحدث المولى تبارك وتعالى تفصيلا عن حال أهل اليمين في الجنة وحال أهل الشمال في النار، والملاحظ: أنه في هذه الآيات لم يذكر سبب كون أصحاب اليمين في النعم، وذكر سبب كون أصحاب الشمال في العذاب، وهو: "أن الله تعالى عند إيصال الثواب لا يذكر أعمال العباد الصالحة، وعند إيصال العقاب يذكر أعمال المسيئين؛ لأن الثواب فضل والعقاب عدل، والفضل سواء ذكر سببه أو لم يذكر لا يتوهم في المتفضل به نقص وظلم، وأما العدل فإن لم يعلم سبب العقاب، يظن أن هناك ظلما فقال: هم فيها بسبب ترفهم"[٢].

وفي هذه السورة ذكر المولى تبارك وتعالى عن أصحاب الشمال ثلاثة أحوال: الأول: أنهم أصحاب الشمال؛ فإنهم في الآخرة يؤتون كتابهم بشمالهم، ويقفون في موضع هو شمال، لأجل كونهم من أهل النار، والثاني: أنه ذكر ما يكون لهم من السموم والحميم، والثالث: أنه لم يقتصر عليه، بل ذكر السبب فيه، فقال: إنهم كانوا قبل ذلك مترفين وكانوا يصرون، فذكر سبب العقاب، فقال: وأما إن كان من المكذبين ليكون ترتيب العقاب على تكذيب الكتاب فظهر العدل[٣].

وقال تعالى: ﴿فَأَمَّا مَنْ أُوتِيَ كِتَابَهُ بِيَمِينِهِ فَيَقُولُ هَاؤُمُ اقْرَءُوا كِتَابِيَهْ (١٩) إِنِّي ظَنَنْتُ أَنِّي مُلَاقٍ حِسَابِيَهْ (٢٠) فَهُوَ فِي عِيشَةٍ رَاضِيَةٍ (٢١) فِي جَنَّةٍ عَالِيَةٍ (٢٢)

---

(١) سورة الواقعة، الآية: ٢٧ – ٥٠.

(٢) تفسير الرازي (٢٩/ ٤١٠ – ٤١١).

(٣) انظر: تفسير الرازي (٢٩/ ٤٣٩).

قُطُوفُهَا دَانِيَةٌ (٢٣) كُلُوا وَاشْرَبُوا هَنِيئًا بِمَا أَسْلَفْتُمْ فِي الْأَيَّامِ الْخَالِيَةِ (٢٤) وَأَمَّا مَنْ أُوتِيَ كِتَابَهُ بِشِمَالِهِ فَيَقُولُ يَالَيْتَنِي لَمْ أُوتَ كِتَابِيَهْ (٢٥) وَلَمْ أَدْرِ مَا حِسَابِيَهْ (٢٦) يَالَيْتَهَا كَانَتِ الْقَاضِيَةَ (٢٧) مَا أَغْنَى عَنِّي مَالِيَهْ (٢٨) هَلَكَ عَنِّي سُلْطَانِيَهْ (٢٩) خُذُوهُ فَغُلُّوهُ (٣٠) ثُمَّ الْجَحِيمَ صَلُّوهُ (٣١) ثُمَّ فِي سِلْسِلَةٍ ذَرْعُهَا سَبْعُونَ ذِرَاعًا فَاسْلُكُوهُ (٣٢) إِنَّهُ كَانَ لَا يُؤْمِنُ بِاللَّهِ الْعَظِيمِ (٣٣) وَلَا يَحُضُّ عَلَى طَعَامِ الْمِسْكِينِ (٣٤) فَلَيْسَ لَهُ الْيَوْمَ هَاهُنَا حَمِيمٌ (٣٥)﴾[١].

فعبر سبحانه عن أهل اليمين بسبب من أسباب تسميتهم بذلك وهو: أنهم يتناولون كتابهم بأيمانهم، كما عبر عن أهل الشمال بأخذهم كتبهم بشمائلهم.

فأما الفريق الأول: فيستبشر ويقول: هاؤم اقرؤوا كتابيه، إني علمت أني ملاق حسابيه، وذكر الله تعالى مصيره بأنه في عيشة ذات رضا، في جنة مرتفعة المكان؛ لأنها في السماء، أو مرتفعة الدرجات أو الأبنية والأشجار، وصفتها أن جناها متدلٍ يتناولها القاعد. ويقال لهم رضا لصنيعهم: كلوا أكلا واشربوا شربا هنيئا بما قدمتم من الأعمال الصالحة. في الأيام الماضية من أيام الدنيا[٢].

وأما من أوتي كتابه بشماله فيقول لما يرى من قبح العمل وسوء العاقبة: يا ليتني لم أوت كتابيه. ولم أدر ما حسابيه، يا ليت الموتة التي متها كانت القاضية القاطعة لأمري فلم أبعث بعدها، أو يا ليت هذه الحالة كانت الموتة التي قضت علي؛ لأنه صادفها أمرَّ من الموت فتمناه عندها، أو يا ليت حياة الدنيا كانت الموتة ولم أخلق فيها حيا. ثم يقول: ما أغنى عني ما لي من المال والتبع، هلك عني ملكي وتسلطي على الناس، أو ضاعت حجتي التي كنت أحتج بها في

(١) سورة الحاقة، الآية: ١٩ – ٣٥.

(٢) انظر: تفسير الماتريدي (١٠/ ١٧٨)، وتفسير الرازي (٣٠/ ٦٣٠)، وتفسير البيضاوي (٥/ ٢٤١)

الدنيا. ثم ذكرت مصيره ابتداء من قوله تعالى لخزنة جهنم: ﴿خذوه فغلوه ...﴾، ثم ذكر سبب ذلك وهو كفره بالله تعالى وعدم فعله للخيرات[(١)].

قال البيضاوي: (ولعل تخصيص الأمرين بالذكر؛ لأن أقبح العقائد الكفر بالله تعالى وأشنع الرذائل البخل وقسوة القلب)[(٢)].

وقال الزمخشري: (دليلان قويان على عظم الجرم في حرمان المسكين، أحدهما: عطفه على الكفر، وجعله قرينة له. والثاني: ذكر الحض دون الفعل، ليعلم أن تارك الحض بهذه المنزلة، فكيف بتارك الفعل!)[(٣)].

وقال تعالى: ﴿فَأَمَّا مَنْ أُوتِيَ كِتَابَهُ بِيَمِينِهِ (٧) فَسَوْفَ يُحَاسَبُ حِسَابًا يَسِيرًا (٨) وَيَنْقَلِبُ إِلَى أَهْلِهِ مَسْرُورًا (٩) وَأَمَّا مَنْ أُوتِيَ كِتَابَهُ وَرَاءَ ظَهْرِهِ (١٠) فَسَوْفَ يَدْعُو ثُبُورًا (١١) وَيَصْلَى سَعِيرًا (١٢) إِنَّهُ كَانَ فِي أَهْلِهِ مَسْرُورًا (١٣) إِنَّهُ ظَنَّ أَنْ لَنْ يَحُورَ (١٤) بَلَى إِنَّ رَبَّهُ كَانَ بِهِ بَصِيرًا (١٥)﴾[(٤)].

يذكر المولى تبارك وتعالى عاقبة من يأخذ كتابه بيمينه، وأنه يحاسب حسابا يسيرا، وقد بينت صفة الحساب اليسير قبلا، وأنه ههنا لا يناقش الحاسب فقد دلت السنة النبوية على أنه من يناقش الحساب يعذب.

قال الرازي: (والحساب اليسير هو أن تعرض عليه أعماله، ويعرف أن الطاعة منها هذه، والمعصية هذه، ثم يثاب على الطاعة ويُتجاوز عن المعصية، فهذا هو الحساب اليسير؛ لأنه لا شدة على صاحبه ولا مناقشة، ولا يقال له: لم فعلت هذا ولا يطالب بالعذر فيه ولا بالحجة عليه. فإنه متى طولب بذلك لم يجد عذرا ولا حجة فيفتضح، ثم إنه عند هذا الحساب اليسير يرجع إلى أهله مسرورا

(١) انظر: تفسير الماتريدي (١٠/ ١٧٨)، وتفسير الرازي (٣٠/ ٦٣٠)، تفسير البيضاوي (٥/ ٢٤٢).

(٢) تفسير البيضاوي (٥/ ٢٤٢).

(٣) تفسير الزمخشري (٤/ ٦٠٥).

(٤) سورة الانشقاق، الآية: ٧ – ١٥.

فائزا بالثواب آمنا من العذاب، والمراد من أهله أهل الجنة من الحور العين أو من زوجاته وذرياته إذا كانوا مؤمنين، فدلت هذه الآية على أنه سبحانه أعد له ولأهله في الجنة ما يليق به من الثواب)[١].

ثم تتعرض الآيات لصفة أهل الشمال، وهنا يذكر القرآن الكريم أن أحدهم يأخذ الكتاب من وراء ظهره، وللمفسرين فيه وجوه:

الأول: قال الكلبي: السبب فيه؛ لأن يمينه مغلولة إلى عنقه ويده اليسرى خلف ظهره، وذهب إلى ذلك الطبري[٢].

وثانيها: قال مجاهد: تخلع يده اليسرى فتجعل من وراء ظهره[٣].

وثالثها: ذهب بعض المفسرين إلى أنه يتحول وجهه في قفاه، فيقرأ كتابه كذلك[٤].

ورابعها: أنه يؤتى كتابه بشماله من وراء ظهره؛ لأنه إذا حاول أخذه بيمينه كالمؤمنين يمنع من ذلك وأوتي من وراء ظهره بشماله[٥].

وقد ذكر الله تعالى مصير من يأخذ كتابه بشماله من وراء ظهره فقال: "﴿فسوف يدعو ثبورا﴾ أي: خسارا وهلاكا، ﴿ويصلى سعيرا * إنه كان في أهله مسرورا﴾ أي: فرحا لا يفكر في العواقب، ولا يخاف مما أمامه، فأعقبه ذلك الفرح اليسير الحزن الطويل، ﴿إنه ظن أن لن يحور﴾ أي: كان يعتقد أنه لا يرجع إلى الله ولا يعيده بعد موته. قاله ابن عباس، وقتادة، وغيرهما. والحور: هو الرجوع.

(١) تفسير الرازي (٣١/ ٩٨)

(٢) انظر: تفسير الطبري (٢٤/ ٣١٥).

(٣) انظر: تفسير الرازي (٣١/ ٩٩)، وتفسير القرطبي (١٩/ ٢٧٢).

(٤) انظر: تفسير الرازي (٣١/ ٩٩).

(٥) انظر: تفسير الرازي (٣١/ ٩٩)، تفسير القرطبي (١٩/ ٢٧٢).

قال الله: ﴿بلى إن ربه كان به بصيرا﴾ يعني: بلى سيعيده الله كما بدأه، ويجازيه على أعماله خيرها وشرها، فإنه ﴿كان به بصيرا﴾ أي: عليما خبيرا"(١).

والخلاصة: أن الناس في الآخرة منهم من يتناول كتابه بيمينه فهذا يستبشر ويقرأ كتابه، فهذا هو المؤمن، وهذا إذا نظر في الكتاب – فرح به واستبشر بما فيه؛ فسهل عليه القراءة، فيقرأ كتابه مستبشرا ويدعو غيره لقراءة كتابه، وهذا أعد الله له جنات النعيم، ومنهم من يتناول كتابه بشماله من وراء ظهره، وهذا هو الكافر الذي إذا نظر في الكتاب حزن واغتم به؛ فعسر عليه قراءة كتابه، فيتمنى لو أنه لم يتناول كتابه أو أن حياته انتهت إلى مرحلة لم تصل به إلى العذاب، وهذا أمره كما ذكر الله تعالى عذاب جهنم وبئس المصير. جعلنا الله تعالى من أهل يمنه ويمينه، وجنبنا مصير أهل الشمال.

**

(١) انظر: تفسير الرازي (٣١/ ٩٩)، تفسير القرطبي (١٩/ ٢٧٢).

المبحث الثامن

النظر إلى الأعمال ونطق الكتاب

إذا كان العلم الحديث قد وصل إلى اختراعات استطاع بها أن يحفظ الصورة وأن يسجل الأصوات، فإن الله سبحانه وتعالى بقدرته أقدر على تسجيل كل أعمال البشر وعرضها عليهم في الآخرة.

والناظر في الآيات التي تعرضت لصور الحساب في القرآن الكريم يجد أنه لا يجمل الحديث عن الحساب إجمالا تختفي فيه كثير من المعاني والتفاصيل، بل يستخدم ألفاظا لها دلالات محددة ومعانٍ فريدة، وما ذلك إلا لأنه يريد أن يوقع في النفس معنى معينا.

إن قوله تعالى: ﴿يَوْمَ يَنْظُرُ الْمَرْءُ مَا قَدَّمَتْ يَدَاهُ وَيَقُولُ الْكَافِرُ يَالَيْتَنِي كُنْتُ تُرَابًا﴾(١)، ليس حديثا عن مجرد حساب سريع يخضع له العبد، بل هو تنبيه إلى أن العبد ينظر إلى عمله في الآخرة نعم قد يمكن حمل ذلك على أنه ينظر لصحيفته ويرى ما كتب فيها من أعماله.

لكن المتعمق في فهم هذه الآيات ودلالتها وما ورد في السنة الكريمة والمتدبر لصفات الله تعالى وعجائب قدرته وما بثه العلم الحديث، قد يتراءى له من المعاني ما هو أليق بنظم الآية وسياقها.

إن هذه الآية الكريمة وما في معناها تدلنا على أن العباد ينظرون إلى أعمالهم يوم القيامة، ولسنا نعلم كيفية معينة لهذا النظر غير ما ذكره المفسرون مما سبقت الإشارة له ومما سأبسطه، لكن من جهة أخرى لا مانع من أن يحضر الله سبحانه وتعالى الحوادث التي حدثت في الدنيا للأعمال الصالحة والأعمال الطالحة ويشاهدها المرء كأنها تعرض في فيلم تسجيلي، وهنا يستبشر المؤمن مما يشاهده وأما النفس غير المؤمنة فعندما تجد ﴿مَا عَمِلَتْ مِنْ سُوءٍ تَوَدُّ لَوْ أَنَّ بَيْنَهَا

---

(١) سورة النبأ، الآية: ٤٠.

وَبَيْنَهُ أَمَدًا بَعِيدًا﴾[١] تماما كمن يرتكب جريمة نكراء ويفاجأ بأن هذه الجريمة تم رصدها بكاميرات وعندما يشاهد نفسه يستخزي، ويتمنى لو كان بينه وبين هذا الفيلم أسوار وحصون تحميه وتمنعه.

وهكذا يكون الحال في الآخرة ولا بُعد في ذلك، فالله سبحانه على كل شيء قدير، والعلم الحديث والتقنية الحديثة قد بلغت في ذلك مبلغا يقطع سبيل التعجب والإنكار.

وأما ما عرضه المفسرون فقد قال بعضهم يَزِن الله سبحانه الأعمال حيث يحوِّلها إلى أجرام وأجسام بعد أن كانت أعراضا، وينظر إليها العبد وتكون من الجسامة والضآلة بحسب طيبها وخبثها، غير أن الفارق بين عمل الصالح وعمل الطالح هو صورته.

قال أبو السعود: (وقد روي عن ابن عباس رضي الله عنهما أنه يؤتى بالأعمال الصالحة على صور حسنة، وبالأعمال السيئة على صور قبيحة، فتوضع في الميزان أي: فمن ترجحت مقادير حسناته) [٢].

قال ابن كثير: (والذي يوضع في الميزان يوم القيامة قيل: الأعمال وإن كانت أعراضا، إلا أن الله تعالى يقلبها يوم القيامة أجساما. قال البغوي: يروى هذا عن ابن عباس كما جاء في الصحيح من أن "البقرة" و "آل عمران" يأتيان يوم القيامة كأنهما غمامتان –أو: غيايتان –أو فرقان من طير صواف[٣]. من ذلك في الصحيح قصة القرآن وأنه يأتي صاحبه في صورة شاب شاحب اللون، فيقول: من

---

(١) سورة آل عمران، الآية: ٣٠.

(٢) تفسير أبي السعود (إرشاد العقل السليم إلى مزايا الكتاب الكريم) (٩/ ١٩٤).

(٣) أخرجه مسلم، كتاب صلاة المسافرين وقصرها، باب فضل قراءة القرآن، وسورة البقرة (١/ ٥٥٣) (٨٠٤)، عن أبي أمامة الباهلي، قال: سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم، يقول: «اقرءوا القرآن فإنه يأتي يوم القيامة شفيعا لأصحابه، اقرءوا الزهراوين البقرة، وسورة آل عمران، فإنهما تأتيان يوم القيامة كأنهما غمامتان، أو كأنهما غيايتان، أو كأنهما فرقان من طير صواف، تحاجان عن أصحابهما، اقرءوا سورة البقرة، فإن أخذها بركة، وتركها حسرة، ولا تستطيعها البطلة». قال معاوية: بلغني أن البطلة: السحرة.

أنت؟ فيقول: أنا القرآن الذي أسهرت ليلك وأظمأت نهارك[١]، وفي حديث البراء، في قصة سؤال القبر: "فيأتي المؤمن شاب حسن اللون طيب الريح، فيقول: من أنت؟ فيقول: أنا عملك الصالح"، وذكر عكسه في شأن الكافر والمنافق[٢])[٣].

وقال الشيخ محمد الأمين الشنقيطي: (وذهبت جماعة من العلماء، ورواه غير واحد عن ابن عباس: أن الموزون نفس الأعمال، وأن الله يُحوِّل الأعمال الحسنة إلى أجرام حسنة مضيئة نيرة، والله (جل وعلا) قادر على كل شيء، فهو قادر على أن يقلب ما ليس بجسم أن يقلبه جسماً، وقد جاء ما يدل على هذا كما جاء في حديث الترغيب في الزهراوين البقرة وآل عمران أنهما تأتيان يوم القيامة كأنهما غمامتان أو فرقان من طير صواف.

وكما جاء في الحديث أن عمل الإنسان يتجسم له في صورة إنسان طيب الريح، وكذلك العمل الخبيث، وكما جاء في بعض الأحاديث أن القرآن يتمثل لصاحبه في قبره، وأمثال هذا كثيرة جدًّا، وعلى كل حال فالله قادر على أن يقلب الأعمال أجساماً، فهو قادر على كل ما يشاء، فيجعل الأعمال الصالحة في صور نيرة حسنة. والأعمال القبيحة في صور مظلمة قبيحة، فتوضع هذه في كفة الحسنات وهذه في كفة السيئات، فتثقل موازين بعض، وتطيش موازين آخرين والعياذ بالله)[٤].

وهذا معنى قوله تعالى: ﴿يَوْمَئِذٍ يَصْدُرُ النَّاسُ أَشْتَاتًا لِيُرَوْا أَعْمَالَهُمْ﴾[٥].

---

(١) أخرجه أحمد (٣٨/ ٧٦) (٢٢٩٧٦)، وصححه البوصيري في مصباح الزجاجة في زوائد ابن ماجه (٤/ ١٢٦).

(٢) مسند أحمد (٣٠/ ٥٧٦) (١٨٦١٤)، وقال الهيثمي في مجمع الزوائد ومنبع الفوائد (٣/ ٥٠): (رجاله رجال الصحيح).

(٣) تفسير ابن كثير (٣/ ٣٨٩).

(٤) العذب النمير من مجالس الشنقيطي في التفسير (٣/ ٧٣).

(٥) سورة الزلزلة، الآية: ٦.

قال الطبري: (يومئذ يصدر الناس أشتاتا متفرقين، عن اليمين وعن الشمال، ليروا أعمالهم، فيرى المحسن في الدنيا، المطيع لله عمله وما أعد الله له يومئذ من الكرامة، على طاعته إياه كانت في الدنيا، ويرى المسيء العاصي لله عمله وجزاء عمله وما أعد الله له من الهوان والخزي في جهنم على معصيته إياه كانت في الدنيا، وكفره به)[١].

وقال ابن الجوزي: (قال ابن عباس: أي ليروا جزاء أعمالهم. فالمعنى: أنهم يرجعون عن الموقف فرقا لينزلوا منازلهم من الجنة والنار. وقيل: في الكلام تقديم وتأخير، تقديره: تحدث أخبارها بأن ربك أوحى لها ليروا أعمالهم يومئذ يصدر الناس أشتاتا. فعلى هذا: يرون ما عملوا من خير أو شر في موقف العرض) [٢].

وفي معنى التسجيل البصري السابق التسجيل الصوتي الممثل في إنطاق الكتاب قال تعالى: {هَذَا كِتَابُنَا يَنْطِقُ عَلَيْكُمْ بِالْحَقِّ إِنَّا كُنَّا نَسْتَنْسِخُ مَا كُنْتُمْ تَعْمَلُونَ}[٣].

قال القرطبي: (هذا كتابنا" قيل من قول الله لهم. وقيل من قول الملائكة." ينطق عليكم بالحق" أي يشهد. وهو استعارة، يقال: نطق الكتاب بكذا أي بين. وقيل: إنهم يقرءونه فيذكرهم الكتاب ما عملوا، فكأنه ينطق عليهم) [٤].

وما ذكره القرطبي لا يمنع أن ينطق الكتاب نفسه ليكون أبلغ في التحدي والإعجاز كما يشخص الله تعالى الأعمال فيراها العبد المنكر لها فلا يجد فكاكا من الإذعان والاعتراف.

نسأل الله تعالى أن يمن كتابنا ويبيض وجوهنا ويجعل نظرنا إلى أعمالنا نظر غبطة وسرور.

---

(١) تفسير الطبري = جامع البيان ت شاكر (٢٤/ ٥٤٩).
(٢) زاد المسير في علم التفسير (٤/ ٤٧٨).
(٣) سورة الجاثية: الآية: ٢٩.
(٤) تفسير القرطبي (١٦/ ١٧٥).

المبحث التاسع

صور من الحساب الخاص

أعرض في هذا المبحث لصور من الحساب الخاص، وهي بعض المواقف التي وردت في السنة النبوية، وظهرت فيها رحمة الله وفضله وكرمه لبعض عباده ممن امتن الله تعالى عليهم بفكاك رقابهم من النار، فإذا كان القرآن الكريم قد تحدث عن سعة رحمة الله تعالى وعموم هذه الرحمة لكل شيء فقال تعالى: ﴿وَرَحْمَتِي وَسِعَتْ كُلَّ شَيْءٍ﴾(1)، فإن السنة النبوية قد عرضت لمواقف خاصة تظهر فيها آثار رحمة المولى تبارك وتعالى وسعة عفوه وعموم ستره لعباده أجمعين، منها:

١- ما روي عن ابن عمر رضي الله عنه قال: سمعت رسول الله ﷺ يقول: "إن الله يدني المؤمن، فيضع عليه كنفه ويستره، فيقول: أتعرف ذنب كذا، أتعرف ذنب كذا؟ فيقول: نعم أي رب، حتى إذا قرره بذنوبه، ورأى في نفسه أنه هلك، قال: سترتها عليك في الدنيا، وأنا أغفرها لك اليوم، فيعطى كتاب حسناته، وأما الكافر والمنافقون، فيقول الأشهاد: ﴿هَؤُلَاءِ الَّذِينَ كَذَبُوا عَلَى رَبِّهِمْ أَلَا لَعْنَةُ اللَّهِ عَلَى الظَّالِمِينَ﴾(2)"(3).

ففي هذا الحديث إشارة إلى فضل الله المديد يوم القيامة، حين يُسبل رحمته على بعض عباده ممن ارتكبوا بعض الذنوب، فيذكِّر العبد بذنوبه ويقرره إياها فإذا أقر بها عفا عنه وشمله بستره.

---

(١) سورة الأعراف، الآية: ١٥٦.

(٢) سورة هود، الآية: ١٨.

(٣) أخرجه البخاري، كتاب المظالم والغصب، باب قول الله تعالى: {ألا لعنة الله على الظالمين} [هود: ١٨] (٢٤٤١) (٣/ ١٢٨)، ومسلم، كتاب التوبة، باب قبول توبة القاتل وإن كثر قتله (٢٧٦٨) (٤/ ٢١٢٠).

قال المهلب: (فى هذا الحديث عظيم تفضل الله على عباده المؤمنين وستره لذنوبهم يوم القيامة، وأنه يغفر ذنوب من شاء منهم، بخلاف قول من أنفذ الوعيد على أهل الإيمان؛ لأنه لم يستثنِ فى هذا الحديث عليه السلام ممن يضع عليه كنفه وستره أحدًا إلا الكفار والمنافقين، فإنهم الذين يُنادى عليهم على رءوس الأشهاد باللعنة لهم)[1].

٢- ما روي عن عبدالله بن مسعود رضي الله أن رسول الله ﷺ قال: ((آخر من يدخل الجنة رجل، فهو يمشي مرة، ويكبو مرة، وتسفعه النار مرة، فإذا ما جاوزها التفت إليها، فقال: تبارك الذي نجاني منك، لقد أعطاني الله شيئا ما أعطاه أحدا من الأولين والآخرين، فترفع له شجرة، فيقول: يا رب، أدنني من هذه الشجرة فلأستظل بظلها، وأشرب من مائها، فيقول الله عز وجل: يا ابن آدم لعلي إن أعطيتكها سألتني غيرها؟ فيقول: لا، يا رب ويعاهده أن لا يسأله غيرها، قال: وربه عز وجل يعذره؛ لأنه يرى ما لا صبر له عليه، فيدنيه منها، فيستظل بظلها، ويشرب من مائها، ثم ترفع له شجرة هي أحسن من الأولى، فيقول: أي رب، أدنني من الشجرة لأشرب من مائها وأستظل بظلها، لا أسألك غيرها، فيقول: يا ابن آدم، ألم تعاهدني أن لا تسألني غيرها؟ فيقول: لعلي إن أدنيتك منها تسألني غيرها؟ فيعاهده أن لا يسأله غيرها، وربه تعالى يعذره؛ لأنه يرى ما لا صبر له عليه، فيدنيه منها، فيستظل بظلها، ويشرب من مائها، ثم ترفع له شجرة عند باب الجنة، وهي أحسن من الأوليين، فيقول: أي رب أدنني من هذه لأستظل بظلها، وأشرب من مائها، لا أسألك غيرها، فيقول: يا ابن آدم، ألم تعاهدني أن لا تسألني غيرها؟ قال: بلى، يا رب لا أسألك غيرها – وربه عز وجل يعذره، لأنه يرى ما لا صبر له عليه، فيدنيه منها، فإذا أدناه منها سمع أصوات أهل الجنة، فيقول: أي رب أدخلنيها، فيقول: يا ابن آدم، ما يصريني منك، أيرضيك أن أعطيك الدنيا

(١) شرح صحيح البخارى لابن بطال (٦/ ٥٧٠).

ومثلها معها؟ قال: يا رب، أتستهزئ مني وأنت رب العالمين؟ فضحك ابن مسعود، فقال: ألا تسألوني مم أضحك؟ فقالوا: مم تضحك؟ قال: هكذا ضحك رسول الله – صلى الله عليه وسلم – فقالوا: مم تضحك يا رسول الله؟ فقال: من ضحك رب العالمين، حين قال: أتستهزئ مني وأنت رب العالمين؟ فيقول: إني لا أستهزئ منك، ولكني على ما أشاء قادر))[1].

وهذا الحديث أيضا يبيِّن سعة عفو الله وبالغ رحمته التي كانت سببا في خروج هذا العبد من النار ودخوله الجنة وبسط النعيم له فيها.

قال الطيبيّ – رَحِمَهُ اللهُ –: (فإن قلت: لم استدراكه؟ ، قلت: عن مقدَّر، فإنه تعالى لَمّا قال له: "أيرضيك أن أُعطيك الدنيا، ومثلها معها؟ "، فاستبعده العبد؛ لِمَا رأى أنه ليس أهلًا لذلك، وقال: "أتستهزئ بي؟" قال– سبحانه وتعالى– له: نعم كنتَ لست أهلًا له، لكني أجعلك أهلًا له، وأُعطيك ما استبعدته؛ لأني على ما أشاء قادر)[2].

٣– عن أبي هريرة رضي الله عنه، عن النبي ﷺ، قال: "كان رجل يسرف على نفسه فلما حضره الموت قال لبنيه: إذا أنا مت فأحرقوني، ثم اطحنوني، ثم ذروني في الريح، فوالله لئن قدر علي ربي ليعذبني عذابا ما عذبه أحدا، فلما مات فعل به ذلك، فأمر الله الأرض فقال: اجمعي ما فيك منه، ففعلت، فإذا هو قائم، فقال: ما حملك على ما صنعت؟ قال: يا رب خشيتك، فغفر له"، وقال غيره: «مخافتك يا رب»[3].

---

(١) أخرجه مسلم، كتاب الإيمان، باب آخر أهل النار خروجا (١٨٧) (١/ ١٧٤).

(٢) الكاشف عن حقائق السنن (١١/ ٣٥٣٧).

(٣) أخرجه البخاري، كتاب أحاديث الأنبياء، باب حديث الغار (٣٤٨١) (٤/ ١٧٦)، ومسلم كتاب التوبة، باب في سعة رحمة الله تعالى وأنها سبقت غضبه (٢٧٥٦) (٤/ ٢١١٠).

قال ابن حجر: (وهذا جميعه – كما قال ابن عقيل – إخبار عما سيقع له يوم القيامة وليس كما قال بعضهم: إنه خاطب روحه؛ فإن ذلك لا يناسب قوله: "فجمعه الله"؛ لأن التحريق والتفريق إنما وقع على الجسد وهو الذي يجمع ويعاد عند البعث)[1].

فيفيد الحديث أن الله تعالى رحم عبده الذي لم يعمل خيرا قط، وأبدله من العقوبة على ما فعل بالعفو والصفح، وذلك لمَّا كان الدافع له على ما أقدم عليه هو خوف الله بقصد حسن، فغفر الله له، وإن كان فعله خطأ وجهلاً بقدرة الله تعالى ومع ذلك عذره وغفر له[2].

فإذا كان هذا لمن ساء ظنه بربه وساء عمله ولم يرجُ رحمته، فكيف بمن كان يحسن الظن بالله تعالى؛ ولهذا يقول النبي ﷺ فيما يرويه جابر بن عبد الله الأنصاري رضي الله عنه، قال: سمعت رسول الله ﷺ، قبل موته بثلاثة أيام، يقول: «لا يموتن أحدكم إلا وهو يحسن الظن بالله عز وجل»[3].

قال ابن حجر العسقلاني: (المقصود من الرجاء: أن من وقع منه تقصير فليحسن ظنه بالله ويرجو أن يمحو عنه ذنبه، وكذا من وقع منه طاعة يرجو قبولها، وأما من انهمك على المعصية راجيا عدم المؤاخذة بغير ندم ولا إقلاع فهذا في غرور)[4].

٤- عن عبد الله بن عمرو بن العاص، يقول: قال رسول الله ﷺ: "إن الله سيخلص رجلا من أمتي على رءوس الخلائق يوم القيامة فينشر عليه تسعة وتسعين سجلا كل سجل مثل مد البصر، ثم يقول: أتنكر من هذا شيئا؟ أظلمك

---

(١) فتح الباري لابن حجر (٦/ ٥٢٣).

(٢) انظر: إفراد أحاديث اسماء الله وصفاته (٣/ ٢٤٥).

(٣) أخرجه مسلم، كتاب الجنة وصفة نعيمها وأهلها، باب الأمر بحسن الظن بالله تعالى عند الموت (٢٨٧٧) (٤/ ٢٢٠٥).

(٤) فتح الباري لابن حجر (١١/ ٣٠١).

كتبتي الحافظون؟ فيقول: لا يا رب، فيقول: أفلك عذر؟ فيقول: لا يا رب، فيقول: بلى إن لك عندنا حسنة، فإنه لا ظلم عليك اليوم، فتخرج بطاقة فيها: أشهد أن لا إله إلا الله وأشهد أن محمدا عبده ورسوله، فيقول: احضر وزنك، فيقول: يا رب ما هذه البطاقة مع هذه السجلات، فقال: إنك لا تظلم"، قال: «فتوضع السجلات في كفة والبطاقة في كفة، فطاشت السجلات وثقلت البطاقة، فلا يثقل مع اسم الله شيء»(١).

قال القاري: ("فلا يثقل مع اسم الله شيء") والمعنى: لا يقاومه شيء من المعاصي، بل يترجح ذكر الله تعالى على جميع المعاصي. قال تعالى: ﴿إِنَّ الْحَسَنَاتِ يُذْهِبْنَ السَّيِّئَاتِ﴾(٢)، ﴿وَلَذِكْرُ اللَّهِ أَكْبَرُ﴾(٣). [العنكبوت: ٤٥]) (٤).

وفي هذا الحديث وفي وزن الأعمال عموما بعد الحساب فائدة عظيمة، وهي أن يعلم العباد "أنهم لو دخلوا الجنة قبل الموازنة ربما ظن المطيع أنه نال الدرجات في الجنة عن استحقاق، وتوهم المعذَّب أن عذابه فوق ذنبه، فتوزن أعمالهم ليقفوا على مقادير أجرها، فيعلم الناجي أن ما ناله من الدرجات بفضل الله، لا بمجرد عمله، ويتيقن الخاسر أن ما ناله من العذاب دون ما ارتكب من الحرام"(٥).

قال القسطلاني: (فكذلك وزنه تعالى لأعمال خلقه بالميزان حجة عليهم ولهم إما بالتقصير في طاعته والتضييع، وإما بالتكميل والتتميم، وإظهار لكرمه وعفوه

---

(١) أخرجه الترمذي، أبواب الإيمان، باب ما جاء فيمن يموت وهو يشهد أن لا إله إلا الله (٢٦٣٩) (٥/ ٢٤)، وصححه ابن حبان (١/ ٤٦١)، وقال الحاكم: على شرط مسلم ووافقه الذهبي، انظر: المستدرك على الصحيحين للحاكم (١/ ٤٦).

(٢) سورة هود، الآية: ١١٤.

(٣) سورة العنكبوت، الآية: ٤٥.

(٤) مرقاة المفاتيح شرح مشكاة المصابيح (٨/ ٣٥٣٢).

(٥) انظر: منار القاري شرح مختصر صحيح البخاري (٥/ ٣٨٢).

ومغفرته وحلمه مع قدرته بعد اطّلاع كل أحد منّا على مساويه ومسامحته له وغفرانه وإدخاله إياه الجنة بعد معصيته)[١].

وفي هذا الحديث كما في غيره بيان عظم منزلة الشهادتين وأنهما لا يعدلهما شيء في الفضل، وهذا ما تضافرت عليه الآيات القرآنية والأحاديث النبوية، فقال تعالى: ﴿وَمَا أَرْسَلْنَا مِنْ قَبْلِكَ مِنْ رَسُولٍ إِلَّا نُوحِي إِلَيْهِ أَنَّهُ لَا إِلَهَ إِلَّا أَنَا فَاعْبُدُونِ﴾[٢]. وقال تعالى: ﴿إِنَّ اللَّهَ لَا يَغْفِرُ أَنْ يُشْرَكَ بِهِ وَيَغْفِرُ مَا دُونَ ذَلِكَ لِمَنْ يَشَاءُ﴾[٣].

ودلت الأحاديث والآثار كذلك على عظم منزلة "لا إله إلا الله"، مثلما ورد في قوله ﷺ: "خير ما قلت أنا والنبيون من قبلي: لا إله إلا الله وحده لا شريك له، له الملك وله الحمد وهو على كل شيء قدير"[٤].

وعنه ﷺ: "فإن الله قد حرم على النار من قال: لا إله إلا الله يبتغي بذلك وجه الله"[٥].

وعن أبي ذر رضي الله عنه أنه قال: أتيت النبي ﷺ وعليه ثوب أبيض، وهو نائم، ثم أتيته وقد استيقظ، فقال: "ما من عبد قال: لا إله إلا الله، ثم مات على ذلك إلا دخل الجنة"، قلت: وإن زنى وإن سرق؟ قال: «وإن زنى وإن سرق»، قلت: وإن زنى وإن سرق؟ قال: «وإن زنى وإن سرق»، قلت: وإن زنى وإن سرق؟ قال: «وإن زنى وإن سرق على رغم أنف أبي ذر»، وكان أبو ذر إذا حدث بهذا قال:

---

(١) إرشاد الساري لشرح صحيح البخاري (١٠/ ٤٨١).

(٢) سورة الأنبياء، الآية: ٢٥.

(٣) سورة النساء، الآية: ٤٨.

(٤) أخرجه الترمذي، أبواب الدعوات (٣٥٨٥) (٥/ ٥٧٢).

(٥) أخرجه البخاري، كتاب الصلاة، باب المساجد في البيوت (٤٢٥) (١/ ٩٢)، ومسلم كتاب المساجد ومواضع الصلاة، باب الرخصة في التخلف عن الجماعة بعذر (٣٣) (١/ ٤٥٥).

وإن رغم أنف أبي ذر قال أبو عبد الله: هذا عند الموت، أو قبله إذا تاب وندم، وقال: لا إله إلا الله، غفر له(١).

وقال كعب: قال موسى: يا رب دلني على عمل إذا عملته كان شكرا لك، فيما اصطفيت إلي، قال: يا موسى قل: لا إله إلا الله وحده لا شريك له، له الملك، وله الحمد، وهو على كل شيء قدير، قال: فكأن موسى أراد من العمل ما هو أنهد لجسمه مما أمر به، قال: فقال له: يا موسى لو أن السماوات السبع، والأرضين السبع، وضعت في كفة، ووضعت لا إله إلا الله في كفة، لرجحت بهن"(٢).

وعن أبي سعيد الخدري رضي الله عنه، عن النبي ﷺ قال: «يدخل أهل الجنة الجنة، وأهل النار النار»، ثم يقول الله تعالى: «أخرجوا من النار من كان في قلبه مثقال حبة من خردل من إيمان، فيخرجون منها قد اسودُّوا، فيلقون في نهر الحيا، أو الحياة – شك مالك – فينبتون كما تنبت الحبة في جانب السيل، ألم تر أنها تخرج صفراء ملتوية»، قال وهيب: حدثنا عمرو: الحياة، وقال: خردل من خير(٣).

وفي معناه حديث أنس، عن النبي ﷺ قال: «يخرج من النار من قال لا إله إلا الله، وفي قلبه وزن شعيرة من خير، ويخرج من النار من قال لا إله إلا الله، وفي قلبه وزن برة من خير، ويخرج من النار من قال لا إله إلا الله، وفي قلبه وزن

---

(١) أخرجه البخاري، كتاب اللباس، باب الثياب البيض (٥٨٢٧) (٧/ ١٤٩)، ومسلم (٩٤) (١/ ٩٥).

(٢) مصنف ابن أبي شيبة (٦/ ٥٩).

(٣) أخرجه البخاري، كتاب الإيمان، باب: تفاضل أهل الإيمان في الأعمال (٢٢) (١/ ١٣).

ذرة من خير» قال أبو عبد الله: قال أبان، حدثنا قتادة، حدثنا أنس، عن النبي ﷺ: «من إيمان» مكان «من خير»[1].

قال السفيري: (والمعنى: أخرجوا من النار من في قلبه مثقال حبة من خردل إيمان، وإنما أتى «بحبه الخردل» دون غيرها من البذورات؛ لأنها في غاية الصغر، فلهذا يُشبَّه بها للبالغ في القلة أي: أخرجوا من النار من بلغ إيمانه إلى غاية القلة، بحيث لا يكون فيها أحد إيمانه أقل من منه، هذا دليل على أنه لا يبقى في النار من أهل الإيمان من العصاة أحد من قل إيمانه أو كثر، تفضلاً منه سبحانه وكرماً. وكم من عاص تفضل الله عليه وعفا عنه وسامحه، من غير سبق عذاب في البرزخ ولا في الآخرة، بل عامله بحسن ظن فأدخله الجنة)[2].

وقال الأبي: (هؤلاء الذين أخرجوا من النار برحمة الله سبحانه وتعالى من ليس عندهم إلَّا مجرد الإيمان وإنما يخرجون بشفاعة أرحم الراحمين)[3].

فهذه بعض صور الحساب الخاص الذي يظهر فيها عفو الله تعالى وكرمه، وامتنانه على بعض عباده ممن استوجب العقوبة أو دخل النار، فيشمله عفوه فيخرج من النار أو يدخل الجنة وإن استحق العقوبة.

**

(١) أخرجه البخاري، كتاب الإيمان، باب زيادة الإيمان ونقصانه (٤٤) (١/ ١٧)، ومسلم، كتاب الإيمان، باب أدنى أهل الجنة منزلة فيها (١٩٣) (١/ ١٨٢).

(٢) شرح البخاري للسفيري (المجالس الوعظية في شرح أحاديث خير البرية) (١/ ٤٦٧).

(٣) الكوكب الوهاج شرح صحيح مسلم (٤/ ٢٩٢).

نتائج الدراسة

❖ الصورة الجامعة للحساب في القرآن الكريم هي صورة الحساب التي تشتمل على المساءلة والوزن والمجازاة، وهذا الحساب على نوعين؛ النوع الأول أعده الله تعالى للكفار ومن لم يرد أن يعفو عنه من عصاة هذه الأمة، وهو الحساب السيِّئ أو سوء الحساب، والنوع الثاني: محمود وهو الحساب اليسير الذي طلبه الرسول ﷺ في دعائه وهو أن ينظر في سيئاته فيتجاوز عنه.

❖ يأتي العرض في القرآن الكريم في الآخرة بمعناه في اللغة والذي يدور حول الظهور والبروز، ويتنوع ويتعدد باختلاف الموقف، فهناك العرض العام لإظهار قيومية الله تعالى وكمال ملكه حينما يعرض العباد عليه سبحانه وتعالى صفا، وهناك عرض الأعمال على العباد، وهناك عرض الجنة والنار.

❖ إن السؤال من صور الحساب في القرآن الكريم، ومعناه على ما نطقت الآيات الكريمة والأحاديث التي وردت في معناها أن الله سبحانه يسأل عباده عن أعمالهم في الدنيا خيرها وشرها وما عملوا في الأمر والنهي على أنه في مقام الذنوب يتضمن توبيخا وتقريعا من الله تعالى تعجيزا للمذنبين وإقامة للحجة عليهم في مقام المحاسبة ويمكن أن يأتي في بعض موارده بمعنى عموم المحاسبة، فيكون كنية عن عملية المحاسبة في الآخرة بأسرها.

❖ إن الله تعالى يحصي أعمال العباد عليهم صفة وقدرا وعددا ويحيط بها إحاطة تامة، فلا يغيب عنه مثقال ذرة مما عملوه، ثم يجازيهم عليها. ولكتابة الأعمال نفس معنى الإحصاء، فالكتابة هنا كتابة إحصاء ورصد دقيق لكل ما يصدر عن العباد، فيسجل الحفظة عليهم كل ما جاءوا به من أقوال وأفعال ثم تعرض عليهم يوم القيامة ليجازوا عليها بما يتناسب معها.

❖ إن الأعمال تكتب في صحائف وتوزن على العباد يوم في القيامة في ميزان الله تعالى أعلم بحقيقته وكيفيته، فتوضع حسنات العبد في كفة وتوضع سيئاته في

كفة، فإذا رجحت كفة الحسنات فالعبد إلى الجنة، وإذا خفت هذه الكفة فرجحت السيئات فالعبد إلى النار إن كان كافرا فيخلد فيها، وهو في مشيئة الله إن كان مؤمنا عاصيا، أعاذنا الله من عذاب النار ومشهدها.

❖ اقتضى عدل الله تعالى أن يجعل على بني آدم في الآخرة شهودا يثبتون عليهم التهمة إذا أنكروا أو جحدوا ما ينبئهم الله تعالى به أو نسوه، فإن بعض الناس يوم القيامة ينكر ما يحاسبه الله عليه، فيجعل الله تعالى له من جوارحه ما يشهد عليه، فيكون هو الشاهد على نفسه وليس أبلغ من ذلك في الشهادة.

❖ أشار القرآن الكريم إلى أن الناس في الآخرة منهم من يتناول كتابه بيمينه فهذا يستبشر ويقرأ كتابه، فهذا هو المؤمن، وهذا إذا نظر في الكتاب – فرح به واستبشر بما فيه؛ فسهل عليه القراءة، فيقرأ كتابه مستبشرا ويدعو غيره لقراءة كتابه، ومنهم من يتناول كتابه بشماله من وراء ظهره، وهذا هو الكافر الذي إذا نظر في الكتاب، حزن واغتم به؛ فعسر عليه قراءة كتابه، فيتمنى لو أنه لم يتناول كتابه أو أن حياته انتهت إلى مرحلة لم تصل به إلى العذاب.

❖ إذا كان القرآن الكريم قد تحدث عن سعة رحمة الله تعالى وعموم هذه الرحمة لكل شيء فقال تعالى: ﴿وَرَحْمَتِي وَسِعَتْ كُلَّ شَيْءٍ﴾، فإن السنة النبوية قد عرضت لمواقف خاصة تظهر فيها آثار رحمة المولى تبارك وتعالى وسعة عفوه وعموم ستره لعباده.

❖ إذا كان العلم الحديث قد وصل إلى اختراعات استطاع بها أن يحفظ الصورة وأن يسجل الأصوات، فإن الله سبحانه وتعالى بقدرته أقدر على تسجيل كل أعمال البشر وعرضها عليهم في الآخرة، وقد يفهم ذلك من بعض آيات صور الحساب في القرآن الكريم.

المصادر والمراجع

١) تفسير الماوردي، (النكت والعيون)، تأليف: علي بن محمد بن محمد بن حبيب البصري البغدادي، الشهير بالماوردي، تحقيق: السيد بن عبد المقصود بن عبد الرحيم، الناشر: دار الكتب العلمية – بيروت / لبنان.

٢) أضواء البيان في إيضاح القرآن بالقرآن، لمحمّد الأمين الشنقيطي، دار الفكر، بيروت، ١٩٩٥ م.

٣) إكمال المعلم بفوائد مسلم، للقاضي عياض، تحقيق: الدكتور يحيى إسماعيل، دار الوفاء للطباعة والنشر والتوزيع، مصر، الطبعة: الأولى، ١٤١٩هـ – ١٩٩٨ م.

٤) التحرير والتنوير، للطاهر بن عاشور، الدار التونسية للنشر، تونس، ١٩٨٤م.

٥) تفسير ابن عطية (المحرر الوجيز في تفسير الكتاب العزيز)، المؤلف: عبد الحق بن غالب بن عبد الرحمن بن تمام بن عطية الأندلسي، المحقق: عبد السلام عبد الشافي محمد، الناشر: دار الكتب العلمية – بيروت، الطبعة: الأولى – ١٤٢٢ هـ.

٦) تفسير ابن فورك، لأبي بكر بن فورك، دراسة وتحقيق: علال عبد القادر بندويش، الناشر: جامعة أم القرى – المملكة العربية السعودية، الطبعة الأولى: ١٤٣٠ – ٢٠٠٩ م.

٧) تفسير ابن كثير (تفسير القرآن العظيم)، تحقيق: سامي بن محمد سلامة، الناشر: دار طيبة للنشر والتوزيع، الطبعة: الثانية ١٤٢٠ هـ – ١٩٩٩ م.

٨) تفسير أسماء الله الحسنى، لأبي إسحاق الزجاج، المحقق: أحمد يوسف الدقاق، الناشر: دار الثقافة العربية.

٩) تفسير البغوي (معالم التنزيل في تفسير القرآن) لأبي محمد الحسين بن مسعود البغوي، تحقيق: محمد عبد الله النمر – عثمان جمعة ضميرية – سليمان

مسلم الحرش، الناشر: دار طيبة للنشر والتوزيع، الطبعة: الرابعة، ١٤١٧ هـ - ١٩٩٧م.

١٠) تفسير البيضاوي (أنوار التنزيل وأسرار التأويل)، عبد الله بن عمر البيضاوي، المحقق: محمد عبد الرحمن المرعشلي، الناشر: دار إحياء التراث العربي – بيروت، الطبعة: الأولى – ١٤١٨ هـ.

١١) تفسير التستري، سهل بن عبد الله بن يونس بن رفيع التُستري، جمعها: أبو بكر محمد البلدي، المحقق: محمد باسل عيون السود، الناشر: منشورات محمد علي بيضون / دارالكتب العلمية – بيروت، الطبعة: الأولى – ١٤٢٣ هـ.

١٢) تفسير الزمخشري، دار الكتاب العربي، بيروت، الطبعة الثالثة، ١٤٠٧هـ.

١٣) تفسير السمرقندي، أبو الليث نصر بن محمد بن أحمد بن إبراهيم السمرقندي.

١٤) تفسير السمعاني، أبو المظفر السمعاني، تحقيق: ياسر بن إبراهيم وغنيم بن عباس بن غنيم، دار الوطن، الرياض – السعودية، الطبعة: الأولى، ١٤١٨هـ- ١٩٩٧م.

١٥) تفسير الشعراوي، محمد متولي الشعراوي، مطابع أخبار اليوم، ١٩٩٧.

١٦) تفسير الطبري (جامع البيان في تأويل القرآن)، لمحمد بن جرير بن يزيد بن كثير بن غالب الآملي، أبو جعفر الطبري، تحقيق: الدكتور عبد الله بن عبد المحسن التركي، الناشر: دار هجر للطباعة والنشر، الطبعة: الأولى، ١٤٢٢ هـ - ٢٠٠١ م.

١٧) تفسير القرطبي، (الجامع لأحكام القرآن)، تحقيق: الدكتور عبد الله بن عبد المحسن التركي، الناشر: مؤسسة الرسالة، الطبعة: الأولى، ١٤٢٧ هـ - ٢٠٠٦ م.

١٨) تفسير الماتريدي (تأويلات أهل السنة)، المؤلف: محمد بن محمد بن محمود، أبو منصور الماتريدي (المتوفى: ٣٣٣ هـ)، المحقق: د. مجدي باسلوم، الناشر: دار الكتب العلمية – بيروت، لبنان، الطبعة: الأولى، ١٤٢٦ هـ.

١٩) تفسير النسفي، (مدارك التنزيل وحقائق التأويل)، عبد الله بن أحمد بن محمود حافظ الدين النسفي، حققه وخرج أحاديثه: يوسف علي بديوي، راجعه وقدم له: محيي الدين ديب مستو، الناشر: دار الكلم الطيب، بيروت، الطبعة: الأولى، ١٤١٩ هـ – ١٩٩٨ م.

٢٠) تهذيب اللغة للأزهري، تحقيق: محمد عوض مرعب، دار إحياء التراث العربي – بيروت، الطبعة: الأولى، ٢٠٠١ م.

٢١) حاشيه الشهاب علي تفسير البيضاوي، شهاب الدين أحمد بن محمد بن عمر الخفاجي المصري الحنفي، دار النشر: دار صادر – بيروت.

٢٢) زاد المسير في علم التفسير، أبو الفرج عبد الرحمن بن علي بن محمد الجوزي، المحقق: عبد الرزاق المهدي، الناشر: دار الكتاب العربي – بيروت، الطبعة: الأولى – ١٤٢٢ هـ.

٢٣) الزهد لأبي داود السجستاني، دار المشكاة للنشر والتوزيع، حلوان، الطبعة: الأولى، ١٤١٤ هـ – ١٩٩٣ م.

٢٤) زهرة التفاسير، محمد أبو زهرة، دار الفكر العربي.

٢٥) سلسلة الأحاديث الصحيحة وشيء من فقهها وفوائدها.

٢٦) سنن ابن ماجه، تحقيق: شعيب الأرنؤوط وآخرون، الناشر: دار الرسالة العالمية، دمشق، الطبعة: الأولى، ١٤٣٠هـ – ٢٠٠٩ م.

٢٧) سنن الترمذي، لمحمد بن عيسى الترمذي، تحقيق: أحمد محمد شاكر، ومحمد فؤاد عبد الباقي، وإبراهيم عطوة عوض، الناشر: مكتبة ومطبعة مصطفى البابي الحلبي – مصر، الطبعة: الثانية، ١٣٩٥ هـ – ١٩٧٥ م.

٢٨) شرح أصول اعتقاد أهل السنة والجماعة، لأبي القاسم اللالكائي، تحقيق: أحمد بن سعد بن حمدان الغامدي، الناشر: دار طيبة – السعودية، الطبعة: الثامنة، ١٤٢٣هـ / ٢٠٠٣م.

٢٩) شرح صحيح البخارى، لعلي بن خلف بن بطال، تحقيق: ياسر بن إبراهيم، دار النشر: مكتبة الرشد – السعودية، الرياض، الطبعة: الثانية، ١٤٢٣هـ – ٢٠٠٣م.

٣٠) شعب الإيمان، لأحمد بن الحسين البيهقي، الطبعة: الأولى، ١٤٢٣ هـ – ٢٠٠٣ م.

٣١) الصحاح، للجوهري، تحقيق: أحمد عبد الغفور عطار، الناشر: دار العلم للملايين – بيروت، الطبعة: الرابعة، ١٤٠٧ هـ – ١٩٨٧ م.

٣٢) صحيح البخاري، للإمام محمد بن إسماعيل أبو عبدالله البخاري، تحقيق: محمد زهير بن ناصر الناصر، الناشر: دار طوق النجاة. الطبعة: الأولى، ١٤٢٢ هـ.

٣٣) صحيح مسلم، للإمام مسلم بن الحجاج النيسابوري، تحقيق: محمد فؤاد عبد الباقي.

٣٤) طرح التثريب في شرح التقريب، زين الدين العراقي، الطبعة المصرية القديمة – وصورتها دور عدة منها (دار إحياء التراث العربي، ومؤسسة التاريخ العربي، ودار الفكر العربي).

٣٥) فتح البيان في مقاصد القرآن، للقنوجي، تحقيق: عَبد الله بن إبراهيم الأنصَاري، المكتبة العصرية، بيروت، ١٩٩٢ م.

٣٦) فتح القدير للشوكاني، الناشر: دار الكلم الطيب – دمشق، بيروت، الطبعة: الثانية، ١٤١٩ هـ- ١٩٩٨ م.
٣٧) الفتوحات الإلهية، سليمان الجمل
٣٨) الكوكب الوهاج شرح صحيح مسلم، محمد الأمين بن عبد الله الأُرَمي العَلَوي الهَرَري الشافعي، مراجعة: لجنة من العلماء برئاسة البرفسور هاشم محمد علي مهدي، دار المنهاج – دار طوق النجاة، الطبعة: الأولى، ١٤٣٠ هـ – ٢٠٠٩ م.
٣٩) اللباب في علوم الكتاب، عمر بن عادل الحنبلي، المحقق: الشيخ عادل أحمد عبد الموجود والشيخ علي محمد معوض، الناشر: دار الكتب العلمية- بيروت / لبنان، الطبعة: الأولى، ١٤١٩ هـ -١٩٩٨م.
٤٠) لسان العرب، لابن منظور، دار صادر – بيروت، الطبعة الثالثة ١٤١٤هـ.
٤١) مختار الصحاح، لأبي عبد الله الرازي، تحقيق: يوسف الشيخ محمد، الناشر: المكتبة العصرية – الدار النموذجية، بيروت – صيدا، الطبعة: الخامسة، ١٤٢٠ هـ / ١٩٩٩ م.
٤٢) مرقاة المفاتيح شرح مشكاة المصابيح، علي بن سلطان القاري، دار الفكر، بيروت – لبنان، الطبعة: الأولى، ١٤٢٢هـ – ٢٠٠٢م.
٤٣) المستدرك على الصحيحين، للحاكم النيسابوري، تحقيق: مصطفى عبد القادر عطا، الناشر: دار الكتب العلمية – بيروت، الطبعة: الأولى، ١٤١١ – ١٩٩٠.
٤٤) مسند أحمد، للإمام أحمد بن حنبل، تحقيق: شعيب الأرنؤوط – عادل مرشد، وآخرون، مؤسسة الرسالة، الطبعة: الأولى، ١٤٢١هـ – ٢٠٠١م.
٤٥) مصنف ابن أبي شيبة، تحقيق: كمال يوسف الحوت، الناشر: مكتبة الرشد- الرياض، الطبعة: الأولى، ١٤٠٩هـ.

٤٦) معاني القرآن، لأبي زكريا الفراء، المحقق: أحمد يوسف النجاتي / محمد علي النجار / عبد الفتاح إسماعيل الشلبي، الناشر: دار المصرية للتأليف والترجمة – مصر، الطبعة: الأولى.
٤٧) معاني القرآن وإعرابه، لأبي إسحاق الزجاج، تحقيق: عبد الجليل عبده شلبي، عالم الكتب – بيروت، الطبعة: الأولى ١٤٠٨هـ – ١٩٨٨م.
٤٨) المعجم الأوسط، للطبراني، تحقيق: طارق بن عوض الله بن محمد ، عبد المحسن بن إبراهيم الحسيني، الناشر: دار الحرمين – القاهرة، الطبعة: الأولى ١٤١٥هـ – ١٩٩٥م.
٤٩) معجم وتفسير لغوى لكلمات القرآن، المؤلف: حسن عز الدين بن حسين بن عبد الفتاح أحمد الجمل، الناشر: الهيئة المصرية العامة للكتاب، مصر، الطبعة: الأولى، ٢٠٠٣ – ٢٠٠٨ م.
٥٠) مفاتيح الغيب، المؤلف: أبو عبد الله محمد بن عمر الملقب بفخر الدين الرازي (المتوفى: ٦٠٦ هـ)، الناشر: دار إحياء التراث العربي – بيروت، الطبعة: الثالثة – ١٤٢٠ هـ.
٥١) المفردات في غريب القرآن، للراغب الأصفهاني، المحقق: صفوان عدنان الداودي، الناشر: دار القلم، الدار الشامية – دمشق بيروت، الطبعة: الأولى– ١٤١٢ هـ.
٥٢) المقاصد الحسنة في بيان كثير من الأحاديث المشتهرة على الألسنة، لشمس الدين السخاوي، تحقيق: محمد عثمان الخشت، الناشر: دار الكتاب العربي– بيروت، الطبعة: الأولى، ١٤٠٥هـ – ١٩٨٥م.
٥٣) المقصد الأسنى في شرح معاني أسماء الله الحسنى، للغزالي، تحقيق: بسام عبد الوهاب الجابي، الجفان والجابي – قبرص، الطبعة: الأولى، ١٤٠٧ – ١٩٨٧م.

٥٤) نظم الدرر في تناسب الآيات والسور، إبراهيم بن عمر البقاعي، دار الكتاب الإسلامي، القاهرة.

٥٥) تفسير أبي السعود، لمحمد بن محمد العمادي المشهور بأبي السعود (إرشاد العقل السليم إلى مزايا الكتاب الكريم)، دار إحياء التراث العربي – بيروت.

* * *